

اعلام الفكر العربي

سَلْمُ الخاسر

شَاعرُ الخلفَاء والأُمَرَاء في العصر العباسي

د. نايف محمود معروف



دار الفكر العربي
بيروت



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سَلْمُ الخاسر



كورنيش سليم سلام - مقابل مخفر المصيطبه
بناية الشروق - الطابق الاول
ص.ب. ١٤/٥٠٧٠ - بيروت - لبنان
ت: ٠١/٢١١١١٤ - ٠١/٢١١١١٥ فاكس: ٢١٣٧٣٦

الطبعة الاولى ٢٠٠١

سَلْمُ الخاسر

شَاعرُ الخلفَاء والأمَرَاء
في العصر العباسي

د. نايف محمود مَعروف



دار الفكر العربي
بيروت

تمهيد

كنت قُبيل المباشرةِ بإعداد هذا البحثِ في أواخرِ الستّينات خالي الذهنِ عن أخبار هذا الشاعر، إذ لم يسبقْ لي أن تعرّفت إلى شيءٍ من شعره، كما كان في تقديري أنّه لم يسبق لأحدٍ من الباحثين أن تعرّضَ له بصورةٍ جادّة.

انطلاقاً من هذا الظنّ، أخذتُ أنقّبُ عن أخباره وأجمعُ أشعاره، أنّى وجدتها وحيثُ ظفرتُ بها.

وبعد أن قطعتُ شوطاً متقدّماً في هذا المجال، تبينّ لي أنّ المستشرق الألماني غوستاف غرونباوم، قد جمع شعره ونتفاً من أخباره، مع شاعرين آخَرَيْن من معاصريه، هما: مُطيع بن إياس، وأبو الشَّمَقْمَق، ونشر ما جمعه في مجلّة «أورينتاليا» مجلّد ١٧/ ٢ (١٩٤٨) و١٩/ ١ (١٩٥٠) و٢٣/ ٣ (١٩٥٢). ثمّ ترجمها وأعاد تحقيقها الدكتور محمّد يوسف نجم في بيروت ـ ١٩٥٩، بعنوان «شعراء عبّاسيون».

وباستثناء هذا الكتاب، لا نجد باحثاً ـ في حدود علمنا ـ قد تعرّض لهذا الشاعر إلّا لِماماً أو مصادفة

ولدى اطّلاعي ودراستي لِما جمعه غرونباوم وحقّقه نجم، لم أجد بأساً في استمرار عملي، لأنّ الهدفَ الذي كنت بصدده يختلف ـ أصلاً ـ عمّا ورد في الكتاب المُشار إليه أعلاه، إذ لم يتعرّضْ صاحبُهُ لتحقيق أخباره أو لدراسةِ شعرِهِ، بل اكتفى بجمعها والإشارةِ إلى مصادر تخريجِها.

ورغم أنّي أفدتُ كثيراً من رَصْد غرونباوم لعددٍ وافرٍ من مصادره، إلّا أنّني لم أعتمد الرواياتِ التي أثبتها، بل عدتُ للتحقّقِ من أخبار هذا «الخاسر» وشعرِهِ من المصادر التي ذكرها، ومن مصادرَ أخرى عديدةٍ، وقعتُ عليها في أثناء عمليّة البحث والتَّقْميش، وذلك تحقيقاً للغاية العلميّةِ التي كنت أسعى إليها[1].

وهكذا، فقد أُتيحَ لي أن أضيفَ قصائدَ جديدةً لم تردْ في مجموعة غرونباوم،

(١) كنت ـ حينذاك ـ أعدُّ رسالتي الجامعية الأولى، لنيل «دبلوم الدراسة العليا» في الأدب العربي ـ كليّة الآداب/ الجامعة اللبنانية، بإشراف الدكتور أحمد مكي.

كما أُتيح لي أن أقدّمَ هذا البحثَ الشاملَ، الذي عرضتُ فيه لأخبار هذا الشاعر، وللبيئتين: الاجتماعية والأدبيّةِ اللتين عاش في كَنَفِهما.

ثمَّ درستُ شعره، باحثاً في موضوعاتِهِ وأغراضِهِ، ساعياً وراءَ خصائصِهِ الفكريّةِ والفنيّة.

وأخيراً، قمتُ بتحقيق ديوانه، الذي شرحتُهُ وأثبتُّهُ في ذيل هذا الكتاب.

المؤلّف

الفصل الأول

معلومات عامّة حول سلم الخاسر

اسمه ونسبه:

ذكر ابن المعتزّ (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) في طبقاته أنّه سَلْم بن عمرو، وأنَّ عبد الله الجمّاز[١] خالهُ[٢].

ونسّبه أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) فقال: هو سلم بن عمرو مَوْلَى بني تَيْم بن مرّة، ثمّ مولى أبي بكر الصدّيق رضوان الله عليه[٣].

بينما يقول الثعالبي (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) هو سلم أو سالم بن عمرو بن حمّاد بن عطاء[٤].

ولعلّ أوفى الروايات حول نسبه، هي التي أوردها البغدادي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) في تاريخ بغداد، حين يقول: «هو مولى أبي بكر الصدّيق، ويقال: بل مولى المهدي، وهو سلم بن عمرو بن حمّاد بن عَطاء بن ياسر، نسّبه هكذا أحمد بن أبي طاهر، ويضيف، وقال غيره: هو سلم بن عمرو بن عطاء بن زبان، بصري قدم بغداد[٥]. ويروي في موضع آخر، قال الجمّار: هو سلم بن عمرو بن عَطاء بن زَبان الحميري، ونحن صليبةٌ من حمير، ثم سُبينا في الردّة، وأعتقنا أبو بكر الصدّيق، فنحن مواليه، وهو أحبّ من نسبي في حمير[٦].

أمّا السمعاني (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) فبعد أن ينسّبه كما جاء عند البغدادي، دون زيادةٍ أو نقصان، نجده يسمّيه (سالماً) ويكرّر هذه التسمية في جميع المواضع التي تعرّض فيها لهذا الشاعر[٧].

ونحن، من خلال نظرنا في هذه الروايات المتعدّدة حول نسبه، نجدها تسند بعضُها وتدعم إحداها الأخرى، وتكمّلُ نسبه الذي يرتدّ إلى حِمْيرُ. وفي ضوء ذلك،

---

(١) الجمّاز: هو محمد بن عمرو بن عطاء الحميري (السمعاني: أنساب، ص١٨٥).
(٢) ابن المعتز: طبقات، ص٩٩.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٤.
(٤) الثعالبي: المنتحل، ص٣٢٦.
(٥) البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٦.
(٦) البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٧.
(٧) السمعاني: أنساب، ص١٨٥.

لا نجد حرجاً في الأخذ برواية البغدادي، لأنّها أوفى الروايات وأشملها، فهو لم يناقض أسلافه من الرواة، كما لم يزد عليه من جاء بعده منهم.

ولعلّ المشكلةَ الوحيد التي تواجهنا، هي ما أورده الثعالبي من احتمال تسميته بـ(سالم) ثمّ تكرار هذه التسميةِ عند صاحب الأنساب.

إنّه رغم تأخّر هاتين الروايتين، نجد لزاماً علينا إزالة كلّ لَبْس حول هذا الموضوع، خاصّةً وقد تحدَّرت إلينا رواياتٌ عديدةٌ، مؤيّدة بشواهدَ شعرية لشعراء عاصروا سلماً وعايشوه، تنصّ صراحةً على اسمه. فهذا صديقُهُ أبو العتاهية يخاطبه قائلاً[1]:

تَعالَى اللَّهُ يا سَلْمُ بنَ عمروٍ ... أَذلَّ الحرصُ أَعناقَ الرجالِ

وجاء أيضاً، أنّ سلماً الخاسر كان عند أبي العتاهية، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبس إبراهيم المَوْصلي في المُطْبق[2]. فأقبل عليه أبو العتاهية يقول[3]:

سَلَمُ يا سَلَمَ ليس دونكَ سِرُّ ... حُبِسَ المَوْصِليُّ فالعيشُ مُرُّ

ويُروى أنَّ سلماً طلب من أبي محمد اليزيدي[4] أن يهجوَهُ، وأَصرَّ على طلبه، فكان مما قاله له اليزيدي[5]:

عَقَّ سَلْمٌ أُمَّهُ سَفَهاً ... وأَبا سَلْمٍ على كِبَرِه

كما نجد في الأغاني، أنَّ أبا الشَّمَقْمَق هجا سلماً بقوله[6]:

يا أُمَّ سَلْمٍ هداكِ اللَّهُ زُورينا ... .
ما إنْ ذكرتُكِ إلّا هاجَ لي شَبَقٌ[7] ... ومثلُ ذكراكِ أُمّ السَّلْمِ يُشجينا

وورد في الأغاني أيضاً، أن أشجع السُّلَمي رَثى سَلْماً عند وفاته، فقال:

يا سَلْمُ إنْ أصبحتَ في حُفرةٍ ... مُوسَداً تُرْباً وأحجارَا

---

(١) ابن المعتز، طبقات، ص١٠٦.

(٢) إبراهيم الموصلي (١٢٥هـ/ ٧٤٣م - ١٨٨هـ/ ٨٠٤م).
شاعر من ندماء الخلفاء، فارسي الأصل، أوحد زمانه في الغناء (الزركلي: أعلام، ١/ ٥٣). المطبق: سجن شهير في بغداد، كان في عهد الرشيد.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٥.

(٤) اليزيدي (١٣٨هـ/ ٧٥٥م - ٢٠٢هـ/ ٨١٨م).
هو يحيى بن المبارك بن المغيرة، العدوي بالولاء. سكن بغداد وأدّب المأمون بعهد من الرشيد (الزركلي: أعلام، ٩/ ٢٠٥).

(٥) ابن المعتز: طبقات، ص٢٧٤.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣١.

(٧) شبق: شدّة الشهوة.

بعد تواتُر هذه الشواهد الشعرية الصريحة، نخلص إلى القول: إنّ اسم شاعرنا هو (سلم)، ونرجّح أنّ لفظ (سالم) لم يكن سوى تصحيفٍ من النّقلَة أو سهوٍ من الرواة.

وعِلاوة على هذه الأدلّة الواضحة، فإنَّ الثعالبي، الذي أثار احتمال تسميته بـ(سالم) متأخّرٌ عن الرواة الذين أوردوا اسمه (سلماً)، كما أنَّ السمعاني الذي أطلق عليه اسم (سالم) قد عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري، والفاصل الزمني شاسع بينهما.

لقبه:

لُقّب الشاعر سلم بن عمرو بـ(الخاسر)، وشهر بهذا اللقب وأصبح علامةً فارقةً له عن غيره من شعراء عصره. ونحن حين نجمع أخباره وندرس آثاره، لا نستطيع أن نمرّ بهذا اللقب مروراً عابراً، لأنّ هذه التسمية تثير تساؤلنا، وتضع علاماتِ الاستفهام حولَ معالمِ شخصيَّته. لذلك، لا بدّ أن نستقصيَ الأسباب التي دعت إلى لصوق هذا اللقب به، حتى صار لا يُذكر سلمٌ إلّا والخسران إلى جانبه، يلازمه في حياته، ولا يتخلّصُ منه بعد مماته.

لم يسبق لأحدٍ من الباحثين الذين مرّوا بسلم أن أثار هذا الموضوع، ووصل إلى نتيجةٍ حاسمةٍ أو جوابٍ شافٍ بشأنه، واكتفوا بتَرْداد الرواياتِ دونَ ترجيحِ إحداها أو رفضِ أُخراها.

ولكي نتّخذَ موقفاً من هذا الأمرِ، لا بدّ من سرد مختلفِ الرواياتِ التي رصدها الرُّواة، لنخلصَ بعد ذلك إلى تعليلٍ واقعيٍّ مقبول.

كان ابنُ المعتزِّ من أوائل الرواة الذين أوردوا أخبار هذا الشاعر. وهو يروي لنا أنّ اليزيدي سأل الجمّاز (خال سلم) عن سبب تسمية ابن اختهِ بـ(الخاسر) فأجابه الجمّاز: «سميّ الخاسر لأنّه تقرّأ (تنسّك)، فبقي في تقرُّئه مدّةً يسيرةً، فرقَّت حالُهُ، فاغتمّ لذلك، ورجع إلى شيء مما كان عليه من الفِسْق والمجون، وباع مُصحفاً كان ورثه عن أبيه، فاشتري بثمنه طُنبوراً». ويضيف ابن المعتز، وقيل: «وباع مصحفاً واشترى بثمنه دفاتر شعرٍ، فشاع بالناس خبره، فسُمِّيَ الخاسرُ بذلك، وقيل له: ويلك! أفي الدنيا أحدٌ فعلَ ما فعلت؟! تبيع مصحفاً وتشتري بثمنه طنبوراً! فقال: ما تقرّب أحد إلى إبليس بمثل ما تقرّبت إليه، فإنّي أقررتُ عينه». ويزيد ابن المعتز: وقد قيل: إنما فعل ذلك مجُوناً، ولم يكن رديءَ الدين. وأمّا الذين زعموا أنّه اشترى بثمن المصحف الشعر، فقد رَوَوْا في أخباره، أنّه لما أفاد من الخلفاء والبرامكة[1]

---

(١) البرامكة: أسرة فارسية، كانت دولتهم وسلطانهم من استخلاف هارون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى، ونكبوا على يد الرشيد نفسه سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢م. (أبو الفداء: تاريخ، ٢/ ٣).

بشعره ما أفاد من الأموال الجليلة قال: «أنا سلم الرابح، ولست سلم الخاسر»[١].

أمّا صاحب الأغاني فيقول: إنّ أباه خلّف له مالاً فأنفقه على الأدب والشعر، فقال له بعض أهله: «إنّك لخاسرُ الصفقةِ، فلُقّب بذلك[٢]». ويضيف الأصفهاني قائلاً: إنّ المبلغَ الذي ورثه عن أبيه هو مائةُ ألفِ درهم، وأنّه بعد ذلك مدح المَهْدي أو الرشيد، وقد بلغه اللقبُ الذي لُقّب به، فأمر له بمائه ألف درهم وقال: كذّبْ بهذا المال جيرانَكَ، فجاءهم بها وقال لهم: هذه المائةُ ألفِ التي أنفقتها وربحتُ الأدب، فأنا سلم الرابح، لا سلم الخاسر[٣]. وفي موضع آخر يتحدّث صاحبُ الأغاني عن لقبه فيقول: لمّا مات عمرو أبو سلم الخاسر، اقتسموا ميراثه، فوقع في قسط سلم مصحفٌ فردّه وأخذ مكانه دفاتر شعرٍ كانت عند أبيه، فلقّب الخاسر بذلك[٤]».

ويرى البغدادي أنّ سلماً الخاسر كان مِتلافاً لماله، مبذّراً على أقرانه، وأنّه سُمّي الخاسر لأنّه صرف على الأدب وأهله مبلغ مائتي ألف درهم، ورث بعضها عن أبيه، وأصاب المائة ألف الأخرى من مدائحه للملوك[٥].

ويردّ السمعاني هذه التسمية إلى بيع سلم لمصحف وشرائه بثمنه دفترَ شعرٍ من شعر أبي نُواس[٦].

أمّا ابن الأثير (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٣م) فيرى أنّ الشعر الذي اشتراه سلم بثمن المصحف هو من شعر أمرىء القيس أو الأعشى[٧].

تكاد تُجمع الروايات الواردةُ أعلاه على أنّ شاعرنا كان رجلاً ماجناً، متظاهراً في خَلاعته ومجونه، شأنه في ذلك شأن كثيرٍ من الشعراء الذين عاصروه؛ كما تكاد تُجمع هذه الروايات على أنّ سلماً كان متلافاً لماله، مبذّراً على أقرانه بغير حساب، يصرف كلّ ما يرد إليه من ورثةٍ يرثها أو مالٍ يكتسبه ثمناً لشعره.

وهكذا، نجد هذا الشاعر واحداً من زمرة الشعراء، الذين اتخذوا الطرب دَيْدَنَهم واللهوَ مطلبَهم والمجون المكشوف مسلكهم. فهل هذا المسلكُ وتلك السيرةُ غيرُ الحميدةِ هما اللذان جلبا له هذا اللقب؟! إنّنا نستبعد مثل هذا الاحتمال، لأنّ سلماً بتصرّفاته تلك لم يكن إلّا واحداً كغيره من الشعراء، الذين ساروا سيرته وسلكوا مسلكه؛ فلم يُشهر أحدٌ منهم بمثل هذا اللقب، ولم يُلصق الخسران بأيّ منهم[٨]. إذ

---

(١) ابن المعتز: طبقات، ص٩٩، ١٠٠.
(٢) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٤.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٦.
(٤) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٦.
(٥) البغدادي: تاريخ، ٩/ ١٣٧.
(٦) السمعاني: أنساب، ص١٨٥.
(٧) ابن الأثير: الكامل، ٥/ ١١٣.
(٨) لقب شاعر آخر بهذا اللقب هو سلام الخاسر الذي نسب إليه الطبري بيتين من الشعر. ولعلّ هذا=

لم تكن حياتُه الماجنةُ استهجاناً حتى يُلصق به مثلُ هذا اللقب ويلازمه طَوال حياتِه وبعد مماته. لكن إذا علمنا أنّه كان تقياً ورعاً في مطلع حياته، ثمّ انقلب على نفسه فأصبح مستهتراً، فخسر بذلك، فهذا أمرٌ قريبُ الاحتمال. وإذا أضفنا إلى سيرته تلك عملَهُ الشائنَ، حين بدل بمصحفِ طنبوراً أو دفاترَ شعرٍ خليع، أمكننا ذلك ـ وبخاصة في مفهوم عامّة الناس في عصره ـ أن نجد مبرّراً مقبولاً وسبباً وجيهاً للصوق هذا اللقب به. وإذا صحّت روايةُ الأغاني القائلة: إنّه رفض أن يرث عن أبيه المصحف الذي وقع في قِسْطه، وفضّل عليه دفاتر شعر ماجن، رأينا أنّ مثل هذه الحادثة يمكن أن ينشأ عنها مثلُ هذا اللقب وأن يقرن به. علماً أنّ الألقاب تأتي ـ غالباً ـ من علامة فارقةٍ أو من ارتكاب عملٍ غيرِ مألوفٍ لدى عامّة الناس.

أسـرتـه:

ليس فيما تحدّر إلينا من أخبارٍ حول سلم، ولا في ما وصل إلينا من شعره، ما يُلقي الضوءَ على أسرته؛ كما ليس هناك ما يشير إلى أبيه أو أمّه من قريب أو من بعيد. فقد صمت الرواة عنهما، وصمت شعره الذي وصل إلينا عن ذكرهما، ولم يرد من الأخبار ما يساعدنا على التعرّف إليهما.

وكانت الإشارة الفريدةُ التي ورد فيها ذكر والده ووالدته هي في هجاء اليزيدي له، حين قال[1]:

عـــقَّ سَـــلْـــمٌ أمّـــهُ سَـــفَـــهـــاً وأبـــا ســـلـــمٍ عـــلـــى كِـــبَـــرِه

ولا نجد في هذا القول ما يُشفي الغليلَ أو ينير السبيلَ، فهو يشير إلى عُقوق سلم لحقّ الأُمومة ونكرانِ جميلِ الوالدين حينما بلغا من الكِبَرِ عِتيّاً؛ وقد لا يعبّر هذا الخبَر عن حقيقة معاملة سلمٍ لأبويه، إذ ورد هذا البيت في مجال المُزاح الذي دار بينه وبين أبي محمد اليزيدي في أحد مجالس الفُكاهة، وفيه أصرّ سلم عليه أن يهجوه، رُغْمَ تَعَفُّفِ اليزيدي عن ذلك[2].

ولكن هناك إشارةٌ أخرى إلى خؤولته، فقد ذكر ابن المعتز في طبقاته أنّ الجماز خاله[3]. وهذا الجماز هو محمّد بن عمرو بن عطاء بن زبان الحميري، كما نسّبه السمعاني الذي يجعله ابن عم سلم لا خاله[4].

أمّا أخبارُ هذه الأسرة ومركزُها الاجتماعي وكيانُها في المجتمع البصري، فليس

= الخاسر هو شاعرنا نفسه، إذ لم أظفر بأي خبر أو شعر ينسب لهذا الخاسر (الطبري: تاريخ، ٧/ ١٤١).

(١) ابن المعتز: طبقات، ص٢٧٤.
(٢) ابن المعتز: طبقات، ص٢٧٣، ٢٧٤.
(٣) ابن المعتز: طبقات، ص٩٩.
(٤) السمعاني: أنساب، ص١٨٥.

هناك ما يُسعفنا في إعطاء صورةٍ واضحةٍ حولها. وكلّ ما تمكنّا من الوصول إليه، هو إنّه من أسرة تعود بنسبها إلى حمْيرَ وأنهّم من سبايا الردّة، ثم أصبحوا من موالي أبي بكر الصدّيق[1].

وحياتُهُ الزوجيةُ أشدُّ غموضاً وأكثر اضطراباً، إذ ليست هناك دلائلُ على اتخاذه زوجةً له، أو بقائه عَزَباً طَوال حياتِه التي امتدّت لأكثر من نصف قرنٍ من الزمن. والأمرُ الذي يزيد الموقفَ غموضاً، أنّ سلماً مات وليس له وارثٌ يرثه كما سنرى عند الحديث عن وفاته.

مـولـده:

غفل الرواة عن ذكر ميلاد هذا الشاعر. وربمّا جهلوا تاريخ ولادته، لأنّ سلماً لـم يكن ابن عظيم من العظماء، ولا ابن أمير من الأمراء ليكترثَ الناسُ بمولده، ويؤرّخَ له المؤرّخون. ولكن تحقّق لدينا، فيما سلف، أنّه ينتمي لأسرة تعود بنسبها إلى موالي أبي بكر الصدّيق الذين كانوا من سبايا حروبِ الردّة.

إنّ غفلة الرُواة هذه أو جهلَ المؤرّخين ذاك، لا يمنعانني من تقدير تاريخٍ لولادته بما هو أقربُ إلى الصواب؛ وذلك بعد عجزنا عن الوصول إلى اليقين.

لقد تحدّر إلينا من الأخبار ما يشير إلى أنّه كان صديقاً للشاعر أبي العتاهية (١٣٠هـ/ ٧٤٨م ـ ٢١١هـ/ ٨٢٦م) الذي تحقّق الباحثون من تاريخ مولده. كما أنّه كان صديقاً للمغنّي الذائع الصيتِ إبراهيم المَوْصِلي (١٢٥هـ/ ٧٤٣م ـ ١٨٨هـ/ ٨٠٤م) الذي جاءت الأخبار مؤكّدةً تاريخَ ولادتِه[2]. فإذا كان سلم صديقاً لهذا الشاعر ولذاك المغنّي، فعلى الغالب أن يكون في سنّهما أو قريباً من هذا العمر.

بهذا يمكننا تقدير تاريخ ولادته ـ ترجيحاً ـ بين سنتي (١٢٠هـ/ ٧٣٧م ـ ١٣٠هـ/ ٧٤٧م). ولعلّ مولدَهُ كان في مدينة البصرة، إذ شُهر بأنّه شاعرٌ بصريٌ قَدِمَ بغداد بعد تأسيسها وتحوُّلِ أهلِ الأدب والشعر نحوها[3].

وفـاتـه:

تؤكّد الرواياتُ التي وصلت إلينا من المصادر القديمة أنَّ سلماً الخاسر مات سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م[4]. ولكن هذه الوفاة كانت مدار أخذٍ وردٌ عند كثيرٍ من الرواة؛ وذلك لارتباطها بالثروة التي خلّفها والوَرَثَةِ الذين أطبقوا عليها.

ويلاحظ أن جميعَ هؤلاءِ الرواةِ يتّفقون على أنّه خلّف ثروةً كبيرةً، ولكنّهم

---

(١) البغدادي: تاريخ، ٩/ ١٣٧.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٤.

(٣) السمعاني. الأنساب، ص١٨٥.

(٤) الثعالبي: المنتحل، ص٣٢٦. ابن الأثير: الكامل، ٥/ ١١٣.

يختلفون فيمن ورثه، كما يختلفون في تقدير تلك الثروة. ولعلّ أرجحَ الرواياتِ هي تلك الروايةُ التي جاء بها صاحبُ الأغاني، حين يقول: «إن عاصم بن عُتبة الغسّاني كان صديقاً لسلم الخاسر، كثيرَ البرِّ به والملاطفةِ له، وكان مبلغُ ما وصل إلى سلم من عاصم خمسمائة ألف درهم، فلمّا حضرتْهُ الوفاةُ دعا عاصماً فقال له: إني ميّتٌ ولا ورثةَ لي، وإنّ مالي مأخوذٌ، فأنت أحقُّ به، فدفع له خمسمائة ألف درهم ولم يكن لسلمٍ وارثٌ[1].

وهناك رواياتٌ أخرى تذهب مذاهب شتّى حول هذا الموضوع، ولكن يكفي أن نعلم أنّه لم يكن له عَقِبٌ يرثه أو قريبٌ تُوجَبُ له، فأصابها هذا أو أعطيت لذاك.

وقد رثاه عند موته الشاعر أشجع السُّلمي بقصيدة يقول فيها[2]:

يا سَلْمُ إنْ أصبحتَ في حفرةٍ ... مُوسَّداً تُرباً وأَحجاراً
فربَّ بيتٍ حَسَنٍ قُلْتَهُ ... خلّفتهُ في الناسِ سَيَّارا

حتّى يقول:

لو نطقَ الشعرُ بكَى بعدهُ ... عليهِ إعلاناً وإسرَارا

معالم شخصيته:

إذا أردنا أن نتقصّى شخصيّةَ سلم الخاسر، فعلينا أن نميّز بين جانبين من جوانب هذه الشخصية. ففي المجال الأوّل نتعرّف إلى شخصيته الإنسانية ومزاياها، وفي المجال الآخر نتناول شاعريّته.

لا سبيلَ لدينا لرسم صورةٍ لملامحه الجسديّة، فهو لم يتحدّث عن شخصه فيما وصل إلينا من شعره، ولم يُورد الرواةُ خطوطاً وأماراتٍ تساعدنا على تصوّر تلك الملامح؛ لذلك سنجتزىء بمعالم هذه الشخصية ـ خُلُقياً ونفسياً.

كان سلم رجلاً جواداً كريماً، ينُفق ما يُغدقه عليه أهلُ العطاء على إخوانه وأصحابه من الشعراء والأدباء. ولكنّ كرمه هذا تحوّل إلى إسرافٍ وتبذيرٍ على المجون واللهو، حتّى أُصيب في أخلاقه وأصبح خاسراً وأقرّ عين إبليس وأرضاه، باعتراف سَلْم نفسِه[3]. وقد تعاطى الخمر وأسرف في محبّتها، فشربها على الريق وحفظ وُدّها مهمًا جرّت عليه من مَهانةٍ وخُسران، فهاهوذا يصوّر عشقه لها بقوله[4]:

وصهباءَ تعملُ في الناظِرَيْنِ ... شربتُ على الرِّيق سَلْسَالَها
وقد كنتُ للكأسِ والغانياتِ ... إذا هجرَ القومُ وُصَّالَها

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢١.
(2) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٣.
(3) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٠.
(4) ق/ ٥٤ (الديوان).

ولكن سلماً، رغم فجوره واستهتاره، لم يكن رديء الدين أو خبيثَ العقيدة[١]، فهناك حالاتٌ يتجلّى فيها إيمانهُ وتصفو نفسه حتى يبدو مؤمناً صادقَ الإيمان؛ فالرزقُ بيد الله الذي يقضي الحوائج ويجلب النجاح، والقناعةُ كنزٌ لا يفنى، فها هو يقول[٢]:

ولا تـسـأَلِ الـنـاسَ مِـنْ فـضـلِـهـم ولـكـن سـلِ الله مِـنْ فـضـلـهِ

وكان سلمٌ لطيفاً مزّاحاً، محبّاً للتسلية والفكاهة، فنراه يتوسّلُ إلى اليزيدي أن يهجوه؛ وبذلك يَسْتعديه على نفسه راضياً مَرْضيّاً، فكان أن أعطاه ما أراد، وهجاه بقصيدةٍ لاذعةِ المعاني بعيدة المرامي، وسلمٌ يسمع ويُقهقه ضاحكاً ويقول: «هكذا يكون استدعاءُ الشرِّ، ما كان أغناني عن هذا»[٣]. ولكن مع هذه الروح المرحة، نجده عصبيّ المزاج إذا لُطم، بذيء اللسانِ إذا دُعس على جانبه، سريعَ الردِّ إذا أُهينت كرامتُهُ. فقد كانت غضبته عنيفة، وانفعاله أشدّ على صديقه أبي العتاهية، حين بلغه أنه لمّح إليه واتهمه بالحرص والبخل، إذ لم يتريّث ليتحقق من صحّة الخبر وما يرمي إليه، بل انفجر ساخطاً وشرع بالشتم والسبَّاب بقساوةٍ ومرارةٍ وبذاءة[٤].

ونرى من معالم شخصيّته الوفاءَ وعرفانَ الجميلِ، فقد كان وفيّاً لأستاذه صادقاً معه، مخلصاً له، معترفاً بفضله عليه، إذ يقول بكلّ فخرٍ واعتزاز: «وهل أنا إلا جزءٌ من محاسنِ بشّار»[٥].

وعندما غضب عليه أستاذُهُ، وجدناه يتوسّط الناس إليه ليصفحَ عنه، كما نراه يتذلّل بين يديه، طالباً رضاه وعفوه عنه[٦].

وأبْتُلي سلمٌ بالكيمياء، فقد قصد أحد العاملين بهذه الصناعة وطلب إليه أن يعلّمه إيّاها، بعد أن أبدى له إعجابه بهذا العلم وحرصَهُ على أن يبقى الأمرَ سرّاً؛ فاقتبس عنه ما مكّنه من تعاطِيها، ودفع لصاحب هذا العلم خمسمائة درهم على ألّا يعلمها لأحد. ثم تكشّف له أنّها صناعةٌ باطلةٌ، فهجرها وتاب عنها[٧].

أمّا الجانب الآخر من شخصية سلم، وهو شاعريته الفَذّة، فيبدو لنا أنّه بلغ منزلةً عاليةً محترمة، حتّى تمكنّ من الوصول إلى الأمراء والخلفاء، وأصبح من شعرائهم المقرّبين، فكان مدّاحاً للأشراف، وكانوا يجزلون له في الثواب والعطيّة، فيأخذ الكثير ويُنفقه على إخوانه وغيرهم من أهل الأدب[٨].

وأخذ سلم يرتقي من درجةٍ إلى درجة، حتّى أصبح فيما بعد من شعراء الدولة

(١) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٠.
(٢) ق/ ٥٣ (الديوان).
(٣) ابن المعتز: طبقات، ص٢٧٣، ٢٧٤.
(٤) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٥، ١٠٦.
(٥) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٢.
(٦) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٧، ٢١٨.
(٧) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٧، ٢٢٨.
(٨) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٥.

العبّاسية، وعاش في كَنَفِ الرشيد وصار من شعرائه[1]. وقد عبّر عن منزلته الرفيعة التي وصل إليها وعن المجالس التي كان ينالها، حين يقول[2]:

وكـم قـد رفـعـتُ سـتـورَ الـمـلـوكِ وزاولـتُ بـالـشـعـرِ أَزْوَالـهـا
ونـلـتُ مـجـالـسَ مـشـهـورةً يُـنـالُ الـكـرامُ بِـمَـن نـالَـهـا

هذه بعض الجوانبِ البارزةِ في شخصيّة سلم الخاسر. ولكنّ هذه العُجالةَ لا تكشف الجوانب الخفيّة فيه، والتي لا نستطيع تحديدها ورسمها إلا من خلال دراستنا لعلاقاته بالخلفاء والأمراء، الذين مدحهم فأعطَوْه، وأخلص لهم فكرّموه. كما ترتسم لنا شخصيته من خلال معاشرته لشعراء زمانه الذين رافقهم، فتأثّر بهم وأثّر فيهم، ونافسهم في القصور ونافسوه، وتعرّض لهم فأخرسوه.

(١) السمعاني: أنساب، ص١٨٥.
(٢) ق/ ٥٤ (الديوان).



الفصل الثاني

نـــشـأتـه وحيـاتـه

نشأته في البصرة[1]:

قبل أن نخوضَ في الحديث عن حياته في البصرة، لا بدّ لنا من الحديث عن الحياة البصرية ذاتِها، بمظاهرها المختلفةِ ووجوهِها المتعددة.

البصرة مدينةٌ إسلاميةٌ نشأت في صدر الإِسلام، وتطورت بتطور الفتوحات الإسلامية، وتقدّمت بتقدّم حياةِ المسلمين فيها. وكان تمصيرها في عهد عمر بن الخطاب (رض) سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م قبل الكوفة بستة أشهر[2]. وقد توالى على إمارتها عددٌ من الأمراء منذ عهد عثمان بن عفّان (رض) وطَوال العصر الأُموي. وكان هؤلاء الأمراء يجدّدون دار الإِمارة ويزيدون فيها إلى أن جاء العصر العباسي، وتولّى سليمان بن عليٍّ ولاية البصرة عاملاً لأبي العباس السفّاح، فتحوّل إلى المِرْبد[3].

ويبدو أنّ تقدّمَ البصرةِ كان يسير بخطىً وئيدة؛ وذلك بسبب اضطراب الحياةِ السياسية. ولكن ما إنْ شارف القرن الأوّل الهجري/ السابع الميلادي على نهايته حتى كانت البصرة مقصدَ أصحابِ المال وكعبةَ التجّارِ كما يخبرنا اليعقوبي في بلدانه، حين يقول[4]:

«ولا بدّ أن ينتهي جزءٌ كبيرٌ من القرن الأوّل، قبل أن تصبح البصرة مدينة الدنيا ومعدنَ تجارتِها وأموالها كما يقولون».

وهكذا، استمرّت البصرة في تطوّرها طَوال الحكم الأُموي وفي صدر العصر العبّاسي. ولكن ما إنْ تأسست بغداد حتى أخذت شمس البصرة تميل نحو الغروب، وسطعت شمس بغداد تشعّ في جوانب المعمورة بأسرها.

وقد أشار الدكتور شارل بيلا إلى تقلّص أهميّة البصرة فقال: «فمنذ تأسيس مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م أصبحت البصرة في شبه تبعيّةٍ للعاصمة التي تَرْقُبها بيقظةٍ

---

(١) والبصرة سميّت البصرة للحجارة البيض الرّخوة بها (الأنباري: أضداد، ص٧).

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٣٠.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٤٣٠.

(٤) اليعقوبي، البلدان، ص٣٢٣.

وتجنّد منها المقاتلين، وأضاف قائلاً: أمّا في زمن العباسيين فإنّ كلّ مدينة ذاتِ أهميَّة، إذا لم تكن بعيدة جداً عن العاصمة، تفقد شخصيتها أو تتَّجه إلى فِقدان شخصيّتها، كي تبقى حجر شطرنج في رقعة الأمير الذي أصبحت من حصّته. إنّ البصرة والكوفة اللتين كانتا تبدوان عاصمتين صغيرتين، قد أنزلتهما بغدادُ عن عرشَيْهما إلى مصافِّ مدن المقاطعات، إذ إنّه بعد تأسيس بغداد لم يعد للبصرة أيُّ مجال للقيام بذات الدَّوْر زمن الأمويين؛ فهي قريبة من العاصمة التي تجذِب إليها القيم والمطامع كلّها[1]».

وفي مجال الحديث عن مظاهر الحياة البصرية في ذلك الزمن، لا يسعنا إلّا أن نتحدّث عن نشاطاتها الثقافية والأدبية. لقد كانت الحياة البصرية آنذاك مليئةً بالحيويّة والنشاط، فموقعها الجِغرافي جعلها حلقَة اتصالٍ بين مختلف الأمم، كما هيّأها لتكون مَرْكَز تلاقحٍ لمختلف الحضارات؛ والحياة التجارية ناشطةٌ في البصرة لكونها في طريق القوافل البَحرية والبريّة، الذاهبةِ والآتية إلى أطراف البلاد الإسلامية الشاسعة. وبحكم هذا الموقع سيمرّ بها وينزل في أحيائها ناسٌ من مختلف اللغات والثقافات والأجناس.

لذلك، يمكننا القول: إنّ سكّانها كانوا مزيجاً من الشعوب والأمم؛ وبذلك فإنّ ثقافة أهلها كانت مزيجاً من الثقافات.

ولقد ارتبطت حياة البصرة ارتباطاً وثيقاً بحياة مدينةٍ مجاورة هي الكوفة. فقد أُسستَا في آنٍ واحدٍ تقريباً، وتعرّضت كلتاهما لظروفٍ متشابهة واضطرابات سياسيةٍ متلاحقة. على أنّهما ـ فوق ذلك ـ مدينتان متجاورتان، فما يكاد يصبح الحدث في إحداهما حتى يُمسي في الأخرى، كما يخبرنا الجاحظ، حين يقول: «وحتّى تكون الحادثة بالكوفة غُدوةً، فيعلم بها أهل البصرة قبل المساء[2]».

ولكن هذا لا يعني أنّ المدينتين كانتا على وفاقٍ فيما بينهما؛ بل كانتا على طرفَيْ نقيضٍ في مختلف جوانب الحياة. فالبصرة كانت مركزاً للمعتزلة[3]، بينما كانت الكوفة مهداً للتشيُّع، والبصرة مشهورةٌ بطابعها العقلي والكوفة بطابعها السرّي الباطني. وكذلك الحال بالنسبة للحياة الأدبية واللغوية، فقد كانت لكلّ منهما مدرسةٌ أدبيةٌ ولُغوية خاصّة بها، وكلّ منهما تنافس الأخرى. ولقد أدّى ذلك التنافس إلى مزيد

(١) بيلا: الجاحظ، ص٨٧، ٨٨.

(٢) الجاحظ: الحيوان، ١/ ٩٧ (ط. الحلبي ١٣٥٧هـ).

(٣) المعتزلة: فرقة إسلامية، ظهرت في أواخر القرن الهجري الأوّل، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأوّل. يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري (الموسوعة العربية الميسّرة، ص١٧١٨).

من البحث وزيادةٍ في النتاج الأدبي واللغوي؛ كما كان سبباً في ظهور مدرسة بغداد اللغوية الشهيرة التي كانت حدّاً وَسَطاً بين المدرستين. وكان من أثر هذا التنافس أيضاً أن كَثُرت الخصوماتُ الأدبية التي انتقلت إلى عامّة الناس، الذين كانوا ينتصرون لهذا الفريق أو لذاك، خاصّةً على مسرح مِرْبد البصرة الذي زاد في اشتداد التنافس وتأجيج الخصام.

وممّا يؤكّد شدّةَ الخصومات وعنفَها، أنّها أصبحت طابعاً مميّزاً لأهل البصرة، حتّى صار يُضرب بها المثل. ومما قيل في هذا المعنى عبارة بَخْتَيْشُوع[1] المشهورة: «تسعةٌ لا تخلو من تسعة، قُمّي من رُعونةٍ، ويمانٍ من جنونٍ، وواسطيٌّ من غفلةٍ وبصريٌّ من جدل... الخ»[2].

والجدل عندهم لم يقتصر على حلقةٍ معيّنةٍ من العلماء دون أخرى، فكان ظاهراً عند علماء اللغة والأخبار كما كان عند الشعراء والأدباء.

وكانت هذه الخصوماتُ على أَشُدّها بين أهل الحديث وأهل الرأي من الفقهاء. ثم كانت هناك خصوماتُ المتكلّمين، وعلى رأسهم المعتزلة، الذي كانوا يمثّلون الطابع العقلي، إذ نصبوا أنفسهم حرباً على النزعات الباطنية والزنادقة والمَنانيّة[3] وغيرهم.

ومما هو جدير بالملاحظة، أنّ الدولة لم تكن إلى جانب أهل البصرة، والجفوة بينهما كانت شديدة. فمتكلّموها معرّضون لكل تهمةٍ، ويُلقى بهم في السجون[4].

وكان بعض الخلفاءِ يكرهون ظاهرة الجدلِ ويعتبرونها مُروقاً من الدين. فبعد مطاردة المهدي للزنادقة، نجد الرشيد أيضاً يكره الجدل والمِراء في الدين[5].

ومن مظاهر الحياة البصرية ظاهرة الشكّ التي كانت تصبغ الجوّ العلمي في البصرة، والتي يرى الحاجري أنّها من أوّل الأسباب التي أشاعت روح السخرية في الأدب البصري، والتي نلمسها عند بشّار وأبي نُواس، كما نراها عند الجاحظ[6].

---

(١) بختيشوع (٠٠٠ ـ ١٨٤هـ/ ٨٠٠م): هو بختيشوع بن جرجس. طبيب سرياني الأصل، مستعرب، اشتهر وتقدّم عند الخلفاء العباسيين. وهو من أسرة علم وفلسفة (الزركلي: أعلام، ٢/ ١٢).

(٢) النويري: نهاية الأرب، ١/ ٢٩٥. (ط. دار الكتب ١٩٤٣).

(٣) المنانية: تنسب إلى ماني. وهو مفكر إيراني، ظهر في القرن الثالث الميلادي، وانتشر مذهبه في أنحاء الأمبرطورية الرومانية وآسيا (الموسوعة الميسّرة، ص١٦٣٦).

(٤) المرتضى: المنية والأمل، ص٣١، ٣٢.

(٥) البغدادي: تاريخ بغداد، ١٤/ ٧.

(٦) الحاجري: حياة الجاحظ، ص٧٦.

الحياة الأدبيّة في البصرة

ازدهرت الحياة الأدبية في البصرة ازدهاراً واسعاً، فحيثما اتجهتَ وأنّى توجّهتَ، يطالعك وجهٌ من وجوه النشاط الأدبي هناك. أمّا العوامل التي ساهمت في تنشيط الحركة الأدبية وازدهارها فهي:

القصور والدور:

لعبت قصور البصرة ودُورها دَوْراً بارزاً في تنمية الحياة الأدبية والعلمية فيها. وقد ذكر البلاذري عدداً منها: كالقصر الأحمر، والقصر الأبيض، وقصر النواهِق، وقصر النعمان، وقصر أَنَس[1]. وفي الشَّمال الشرقي للبصرة بنى سليمان بن علي (واليها أيّام الرشيد) قصره، فحذا حذوه الرشيد وبنى لنفسه قصراً بالقرب منه[2]. وكان المنصور قد بنى قصره هناك سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م[3].

وظلَّ قصر أنس مَثار خيال الشعراء، فأكثروا من وصفه. قال فيه الخليل بن أحمد[4]:

زُرْ واديَ القصرِ نِعْمَ القصرُ والوادي   لا بدّ مِن زَوْرةٍ عن غير مِيعادِ
تَرْفَا به السُّفْنُ والظُّلمان واقفةٌ   والضبُّ والنونُ والملّاحُ والحادِي[5]

أمّا دُور البصرة فكانت أشبهَ بقصورها، تُعقد فيها مجالسُ العلم وندواتُ الأدب، فيدور الحوار والنقاش في شتّى الموضوعات العلمية والأدبية والعقلية. فهذا أبو عِمْران بن مُوَيْس بن عِمْران يجمع في داره المتكلّمين والمعتزلة وأهل الحديث والمرجئة[6].

ومن أندية البصرة ما كان يُعقد في دار آل نوبخت[7]، فقد كان قصرهم قِبْلَةَ الشعراء والأدباء. وكان أصحابها يميلون للأدب وأهله، وبعضهم يقول الشعر ويُحسنه، وقد تردّد أبو نُواس كثيراً إلى مجالسهم وتبادلوا العبث والتماجُن[8].

أمّا دُور آل سليمان بن علي (عمّ السفّاح) فكانت ندوةً لأهل الأدب والشعر. وكان جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يجمع في داره العلماء، فصار من جلسائه: الأصمعي، والمفضّل الضبيّ، والمؤمّل بن جميل بن يحيى

---

(١) البلاذري: فتوح، ص٣٥٥.
(٢) البلاذري: فتوح، ص٣٦٤.
(٣) البلاذري: فتوح، ص٥١٦.
(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١/ ٢١٧.
(٥) ترفا: ترسو. الظلمان: مفردها ظليم، وهو الذكر من النعام.
الضب: حيوان من الزواحف، شبيه بالحرذون. النون: الحوت.
(٦) الجاحظ: الحيوان، ٣/ ٤٣ (ط. الحلبي).
(٧) آل نوبخت: أسرة فارسية مال أهلها للفنّ.
(٨) الحاجري: حياة الجاحظ، ص١١٨.

الشاعر[1]، والطريف أنّ داره كانت خلف دار أبي عمرو بن العلاء، ويقول الجاحظ أنّه كان بها مكتبةٌ بلغت كتبها السقف قبل أن يحرقها[2].

ومن أُسَر البصرة، التي اتخذت من دُورها أنديةً للأدب وأهله، أسرة قُتَيْبة بن مُسْلِم، فهي من الأُسَر المشهورة التي يعدّدها الجاحظ. فقد وليَ البصرة في أيام المنصور، فجعل من داره منتدىً للأدب، وجاء أولاده على مِنوال أبيهم، فبقيت دارهم مُلْتقى أهلِ الأدب[3].

ومن أُسَر البصرة العريقة بمآثرها وعنايتها بالأدب أسرة المَهالبة، فقد قال أبو عبيدة (رأس هذه الأسرة) لأولاده: «يا بَنيّ لا تقوموا في الأسواق إلا على زَراد أو وِراق[4]».

ولا شكّ أنّ عطف هؤلاءِ الكبراءِ من الناس على الأدب والمتأدّبين كان من العوامل الهامّة في تشجيعهم والأخذ بأيديهم. فهذا أبو عمران مُوَيْس بن عِمْران يرى مرّةً الجاحظ مهموماً، لعدم رضى أمّه لاشتغاله بالعلم الذي لا يدِرُّ على أهله ربحاً، فيُدخله إلى بيته ويُكرمه ويقدّم له بعض المال لإعانة أسرته. وحينما سُجن أبو نُواس زاره في سجنه وقدّم له ما يحتاج إليه. ولمّا استوهبه الحسين الخليع جُبّة كان يلبسها وهبه إياها[5].

---

(١) المرزباني: معجم الشعراء، ص٣٨٥.
الأصمعي (١٢٢هـ/ ٧٤٠م ـ ٢١٦هـ/ ٨٣١م).
هو عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع الباهلي: راوية العرب، وأحد أئمّة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جدّه أصمع، ومولده ووفاته بالبصرة (الزركلي: أعلام، ٤/ ١٦٢).
المفضّل الضبيّ (٠٠٠ ـ ١٦٨هـ/ ٧٨٤م).
هو المفضّل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبّي: راوية، علّامة بالشعر والأدب وأيّام العرب، من أهل الكوفة (الزركلي: أعلام، ٧/ ٢٨٠).
المؤمّل بن جميل (٠٠٠ ـ نحو ١٧٠هـ/ ٧٨٦م).
هو المؤمّل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة: شاعر غزل ظريف، من أهل المدينة، يعرف بقتيل الهوى. وهو ابن عمّ الشاعر مروان بن أبي حفصة. (الزركلي: أعلام، ٧/ ٣٣٤).
أبو عمْرو بن العلاء (٧٠هـ/ ٦٩٠م ـ ١٥٤هـ/ ٧٧١م).
هو زبّان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقّب أبوه بالعلاء، من أئمّة اللغة والأدب، وأحد القرّاء السبعة. ولد بمكّة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة (الزركلي: أعلام، ٣/ ٤١).
خلف الأحمر (٠٠٠ ـ نحو ١٨٠هـ/ ٧٩٦م).
هو خلف بن حيّان، المعروف بالأحمر: راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة (الزركلي: أعلام، ٢/ ٣١٠).

(٢) الجاحظ: البيان، ١/ ٣٠٩.

(٣) الجاحظ: البيان، ٢/ ١٩ (ط. الفتوح ١٣٣٢).

(٤) الجاحظ: الحيوان، ٢/ ٥٢ (ط. الحلبي). يدعو أولاده للاهتمام بالدروع والكتب.

(٥) الجاحظ: الحيوان، ٣/ ٤٣ (ط. الحلبي).

ولم يقتصر النشاط الأدبي على هذه القصور وتلك الدور، بل ساهم فيه كثيرُ من الدُور المتواضعةِ أيضاً، وخاصّةً دُور الشعراء. فقد كانت دار بشّارٍ منتدىً لأصحابه، يجلسون عنده ويتناشدون الأشعار ويسمعون الأغاني. قال في أحد مجالسه: «لا تُصَيّروا مجلسنا هذا شعراً ولا حديثاً كلّه ولا غناءً كلّه، فإنّ العيش فُرَص، ولكن غنّوا وتحدّثوا وتناشَدوا، وتعالَوْا نتناهبِ العيشَ تَناهُباً[1]». وكانت مجالس أبي نُواس تجمع أمثاله من الشعراء الذين يتندّرون ويسخرون ويشربون[2].

ليس لدينا ما يشير ـ نصّاً ـ إلى حضور شاعرنا سلم الخاسر هذه المجالس وتلك الندوات. ولكن نستطيع القول باطمئنان إنّه لم يكن بعيداً عنها، بل كان من روّادها وعشّاقها. ويكفي أن نشير إلى أنّه أنفق ماله على مجونه وعلى إخوانه من أهل الأدب، وأنّه تتلّمذ على بشّار وكان راويةً لشعره[3].

المساجد:

إنّ مساجد البصرةِ لا تقلّ أهميّةً عن دُورها وقصورها في تنشيط الحركة الأدبية والعلمية، إذ لم تكن تلك المساجد بيوتاً للصلاة فحسب؛ بل كانت مراكز يلتقي فيها العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء. وكان الخلفاء أنفسهم يحضرون هذه المجالس أحياناً إلى جانب عامّة الناس. فقد ذُكر أنّ الرشيد حين نزل البصرة قصد مسجدها الكبير وجلس إلى يونس بن[4] حبيب في حَلَقته[5]. ولعلّ أبرز تلك المساجدِ الجامع الكبير الذي كانت تجري فيه المناظراتُ العلميّةُ والمحاوراتُ الأدبية والمناقشات العقليّة. وبذلك يمكننا القول: إنّ المسجد الجامع كان جامعةً للثقافة الدينية والعلمية والأدبية، ومن بين جدرانه تخرّج كثير من العلماء والفقهاء وأهل اللغة والأدب.

أمّا مساجد البصرةِ الأخرى، والتي كانت منتشرةً في جميع أنحائها، فهي أشبه بالروافد التي يغذّيها الجامع الكبير فتنقل ـ بدورها ـ تلك العلوم إلى عامّة الناس في مختلف الأحياء. وبحكم تردّد جمهور الناس على تلك المساجد للعبادة والصلاة، فقد قيّض لأهل البصرة أن يشهدوا الخصومات الأدبية والكلامية ويستمعوا إليها، ويساهموا في تأجيجها بانتصارهم لهذا أو مساندتهم لذاك.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ٢٣٢ (ط. دار الكتب المصرية).
(٢) أبو هفان: أخبار أبي نواس، ص٦٧ و٦٩.
(٣) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٠ و١٠٥.
(٤) يونس بن حبيب (٩٤هـ/ ٧١٣م ـ ١٨٢هـ/ ٧٩٨م): ضبيّ بالولاء، ويعرف بالنحوي، علّامة بالأدب، وكان إمام نحاة البصرة في عصره (الزركلي: أعلام، ٩/ ٣٤٤).
(٥) الزجّاجي: مجالس، ص٢١.

ولا بأس من الاطلاع على شيءٍ مما كان يدور في تلك المجالس. قال أبو حاتم السجستاني، فقلت له (يعني الأصمعي): في نفسي شيءٌ أريد أن أسألك عنه، قال: سَل، فقلت: حدّثني بما جرى بينك وبين سِيبويه من المناظرة. فقال: والله، لولا أنّي لا أرجو الحياة من مرضي هذا ما حدّثتك. إنّه عُرض عليّ شيءٌ من الأشياء التي وصفها سيبويه في كتابه، ففسّرتها على خلاف ما فسّر. فبلغ ذلك سيبويه، فبلغني أنّه قال: لا ناظرتُهُ إلّا في المسجد الجامع. فصلّيت يوماً في الجامع ثمّ خرجت، فتلقّاني في المسجد فقال لي: إجلس يا أبا سعيد. ما الذي أنكرتَ من بيت كذا ومن بيت كذا؟ ولِمَ فسّرتَ على خلاف ما يجب؟ فقلت له: ما فسّرتُ إلّا على ما يجب، والذي فسّرتَهُ أنتَ ووصفتَهُ خطأ. تسألني وأُجيب. ورفعتُ صوتي، فسمع العامّة فصاحتي ونظروا إلى لُكْنَته، وقالوا: لو غلبَ الأصمعي سيبويه، فسرّني ذلك. فقال لي: إذا علمتَ أنت يا أصمعي ما نزل بك منّي لما التفتَّ إلى قول هؤلاء، ونفض يده في وجهي ومضى[1].

ولم تكن هذه الحلقات تقتصر على النواحي الأدبية، بل كانت تشمل مختلف العلوم التي ازدهرت في العصر العباسي، فثمّة حلقاتٌ للأدب والشعر، وحلقاتٌ للنحو، وأخرى للكلام... الخ.

وهناك ظاهرةٌ تسترعي الاهتمام، وهي أنّ معظم شيوخ تلك الحلقات كانوا من الموالي، خاصّة العلوم الكلامية والدينية؛ أمّا حلقات الأدب والأخبار ورواية الحياة العربية فكان العنصر العربي أبرز ما فيها؛ بينما شيوخها كانوا خليطاً من العرب والموالي. فمن العرب كان أبو عمرو بن العَلاء وأخوه سُفيان بن العَلاء، وهما من خُزاعة بن مازن، والأصمعي والمُفضّل الضبيّ. ومن الموالي كان أبو عبيدة تلميذ أبي عمرو؛ وكذلك خلف الأحمر[2].

الأسـواق:

لم تكن القصورُ والدورُ والمساجد هي صاحبة الفضلِ الوحيد في إزدهار الحياة الأدبية في البصرة، فهناك عاملٌ آخر لا يقلّ عنها أهميّة. إنّه الأسواق التي شاركت في إذكاء الحركة الأدبيّة ودفعها إلى ذِرْوَتِها.

أسواق البصرة كثيرة، منها: سوق البزّازين، وسوق الصفّارين، وسوق القصّارين، وغيرها. ولكن هذه الأسواق تبدو محدودة الأهميّة، قياساً بسوق المِرْبَد

(١) ياقوت: معجم الأدباء، ٦/٧ (ط. أمين هندية).

(٢) زكي: الحياة الأدبية في البصرة، ص٥٠.

الذي قيل فيه: «العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق، والمِرْبَد عين البصرة[1]». والمربد ـ في الأصل ـ أحد أسواق البصرة، الذي كان يقصده أهل البادية. أخلاطٌ من الناس ومن مختلف الطبقات يؤمّونه، بعضهم للتجارة، وآخرون للتسوّق، وغيرهم للتفرّج. وهكذا، أصبح مربدُ البصرةِ محطَّ الأنظار، إليه تُشدّ الرّحال ونحوه يتّجه صنّاع اللغة والرواة والإِخباريون؛ وعلى مسرحه يلتقي الأدباء والشعراء. وهناك تدور المناظرات والمحاورات، فتبرز الخصومات الأدبية والكلاميّة، فينقسم جمهور السوق باختلاف منازعهم العصبيّة وأهوائهم المذهبيّة.

إنّ ما كان يدور في مربد البصرة شبيهٌ بما كان يجري في عُكاظ الجاهلية، مع ملاحظة دور الموالي الظاهر في البصرة وغيابهم عن ساحة الجاهلية.

وتحسُن الإِشارةُ ها هنا، إلى أنّ كثيراً من علماء اللغة والنحو وبعض الأدباء والشعراء كانوا يقصدون المربد للاستفادة من أعراب البادية وسماع اللغة من أهلها، ونقل الأخبار ورواية الأشعار. فقد رُوي عن الأصمعي أنّه قال: «جئتُ إلى أبي عمرو بن العَلاء، فقال لي: مِن أين أقبلتَ؟ فقلت: جئتُ من المربد! قال: هاتِ ما معك، فقرأتُ عليه ما كتبت في ألواحي، فمرّت به ستةُ أحرف لم يعرفها، فخرج يعدو قال: «شمّرتُ في الغَريب[2]».

وهذا ياقوت يروي عن الجاحظ أنّه: «أخذ النحو عن الأخفش وأخذ الكلام عن النظّام، وتلقّن الفصاحة عن العرب شفاها بالمربد[3]».

والآن لا بدّ أن نتساءل، أمَا كان شاعرنا سلم الخاسر يقصد مربد البصرة ويتردّد على أسواقها كغيره من أهل الأدب والشعر؟ إنّه وإن كان ينقصنا الدليل الكافي لإِعطاء جواب شافٍ، فلا نعدم الاستنتاج السليم الذي يوحي بارتياده لتلك الأسواق وفي مقدّمتها مربد البصرة. فهذا ابن المعتز يخبرنا أنّ سلماً كان من أعرف الناس وأدراها بأشعار الجاهلية[4]. وهذا الأمر لا يتسنّى إلّا لمن تردّد على تلك السوق وأُولع بها، ولم يفوّت موسماً من مواسمها.

هذه العواملُ مجتمعةً، قصوراً ودوراً، مساجد وأسواقاً، عملت على ازدهار الحياة الأدبيّة واللغوية في البصرة، حتّى بلغ عدد من كان بها من المحدّثين والفقهاء واللغويين والنحويين والأدباء ثلاثة آلاف[5].

ولم يكن حظُّ الشعر بأقلّ من غيره، فقد أصبحت البصرة مركزاً لجمع دواوين

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١/ ٢٢٢.

(٢) القالي: أمالي، ٣/ ٢٨٢.

(٣) ياقوت: معجم الأدباء، ٦/ ٥٦.

(٤) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٥.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء، ٧/ ٢١٩ (ط. أمين هندية).

الشعر الجاهلي «فقد كان للشعر القديم منذ أواخر القرن الهجري الأوّل الرُّجحان في المربد وفي حلقات اللغويين وفقهاء اللغة[1]».

ولم يكن شعراء البصرة بالشعراء الثانويين عند أهل اللغة والأدب، بل كانوا من المقدَّمين عندهم. يقول شارل بيلا: إنّ شعراء الجاحظ المفضّلين كلّهم بصريون، مع إهماله لأبي نُواس[2].

أمّا النواحي اللغوية والأدبية فإنّ لأهل البصرة السَّبْق والتقدّم، ويكفي أن نذكر: كتاب النحو اللغوي لسِيبويه؛ وكتاب العين للخليل بن أحمد، اللذَيْن يُعدّان، مع كتابي: البيان والتبيين، والحيوان، للجاحظ، مفخرة أهل البصرة[3].

ولكن لم يدم للبصرة عزّها وازدهارها الأدبي، فما أن تأسّست بغداد العباسيين وأصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية، حتّى أخذ العلماء والأدباء والشعراء يتّجهون صَوْب بغداد؛ وذلك إمّا طلباً للعلم أو سعياً وراء الارتزاق والمناصب.

وهكذا، أخذ البصريون يتحوّلون نحو المدينة الجديدة، فأبو محمد اليزيدي النحوي مثلاً يلازم أبا عبيد الله وزير المهدي، والأصمعي يرحل إليها، ويصاحب الرشيد، فيظعن بظعنه ويقيم بمقامه[4].

وكذلك الشعراء أنفسهم أخذوا يهجرون البصرة ويتّجهون إلى بغداد. فهذا سلم الخاسر ـ راوية بشّار ـ يسافر إلى هناك، ليكون قريباً من قصر أمير المؤمنين، ويتبعه أبو نواس، ويلحق بهم الحسين الخليع، وفعل ذلك أبو عبيدة والجاحظ وغيرهما[5]، وبانتقال أعلام الأدب والشعر، انتقل الازدهار الأدبي من البصرة إلى بغداد.

حياته في بغداد

إنّ الحديثَ عن حياته في بغداد هو جزءٌ لا يتجزأ من حياة بغداد نفسها. فإذا كانت الرواياتُ التي تحدّرت إلينا لم تزوّدنا بأخبار كافيةٍ لإلقاء الضوء على حياة سلم الخاسر في هذه المدينة، فإنّ الحديث عن حياة بغداد ذاتها قد يُلقي الضوء وينير

(١) بيلا: الجاحظ، ص٢٠٦.
(٢) بيلا: الجاحظ، ص٢٢٨.
(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ٢/ ١٧٧.
(٤) الزجّاجي: مجالس، ص٢٣.
(٥) الحسين الخليع (١٦٢هـ/ ٧٧٩م ـ ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م).
هو الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي ببغداد.
كان من زمرة أبي نواس (الزركلي: أعلام، ٢/ ٢٥١).
أبو عبيدة: معمر بن المثنى (١١٠هـ/ ٧٢٨م ـ ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م).
هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، من أئمة العلم بالأدب واللغة.
مولده ووفاته بالبصرة (الزركلي: أعلام، ٧/ ٢٧٢).

السبيل لنتلمّس أخباره من خلالها؛ إذ إنّ سلماً لم يكن سوى شاعرٍ من شعرائها ومدّاحٍ لخلفائها وأمرائها.

بغداد لم تكن مدينة فحسب، بل كانت عاصمةَ الخلافةِ الإسلامية، لا بل عاصمة العالم المتحضّر حينذاك؛ إليها تُشدّ الرِّحال، ونحوها تصبو القلوب، ومنها تُدار سياسةُ العالمِ الإسلامي الشاسع الأطرافِ في مشارقِ الأرض ومغاربها.

كان تأسيس هذه المدينة على يد أبي جعفر المنصور، الذي يُعتبر المؤسسُ الحقيقيُّ لسلطان الخلافة العبّاسية، بعد أن تولّاها من أخيه الخليفة العباسي الأوّل أبي العباس عبد الله، الذي لم يحكم سوى مدةٍ قصيرةٍ من الزمن.

اختير موقعُ بغداد على الضفّة الغربية من نهر دِجْلة، ليكون بعيداً عن الكوفة التي كانت مهداً وموئلاً لشيعة عليّ (رض).

وازدهرت هذه المدينة بسرعة فائقة، ثمّ ما لبثت أن أصبحت المدينة الأولى في عالم ذلك الزمان. فقد تقاطر إليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الأدب أو الشعر، أو للأخذ بأسباب المرح واللهو؛ فالتقى فيها العربيّ والفارسيّ والروميّ والنبطيّ والشركسيّ والصقلبيّ والهنديّ والبربريّ والزنجيّ[1].

وكان الخلفاء العباسيون يكرمون وِفادة أهل العلم والأدب ويشجّعون أصحابها، مما دعا هؤلاء إلى النزوح لبغداد، فلم يبقَ ذو قريحةٍ أو علمٍ أو أدبٍ إلّا يمّم دارَ السلامِ ونال جائزةً أو هديّة أو راتباً[2].

وهكذا أخذت بغداد تسير نحو قمّة مجدها، فطغت عظمتها على غيرها من المدن الإسلامية الأخرى، كدمشق والبصرة والكوفة.

وكانت هذه المدينة منذ نشأتها، تختلف اختلافاً جوهرياً عن عاصمة الأمويين في دمشق. فعلى الرّغم من أنّ العباسيين أسرة عربية أصلية، ومن ذُؤابة قريشٍ، إلّا أنّ حياة الخليفة العباسي المدنيّة أصبحت شبيهةً بحياة ملوك الفرس؛ فقد شيّد الخليفة المنصور قصوراً لنفسه وحاشيته، كما بنى الدور الوَسِيعة للدوائر الحكومية، وأنشأ شبكةً من القنوات تعلوها الجسور، ثم أقطع ذوي قُرباه ومواليه وقوّاده الضواحي

---

(١) النبطي: من الأنباط، وهم قوم من العرب قطنوا قديماً جنوبي فلسطين. كانوا من التجار يرحلون إلى مصر والشام وبلاد الفرات وروما (الموسوعة الميسّرة).
الصقلبي: من الصقالبة، وهم الشعوب التي كانت تقطن بين جبال أورال والبحر الأدرياتيكي، وأطلق اسم الصقالبة في الأندلس على حرس الخلفاء الخاص؛ وكذلك على جماعة من العبيد في الخدمة العسكرية (الموسوعة الميسّرة).

(٢) زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ٢/١٨.

المحيطة ببغداد، وأطلق على عاصمته دار السلام، وأحاط نفسه بسياجٍ من الحرس قادتهم من أعاجم الفرس[1].

مظاهر الحياة البغدادية

حياتها الاجتماعية:

لا شكّ أنّ كون بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية قد ساهم إلى حدٍ بعيدٍ في تقدّمها الاجتماعي والاقتصادي، فقد أصبحت مَقْصِد الناس من كلّ حَدَبٍ وصَوْب؛ كما أصبحت ملتقىً لأصحاب المصالح وروّاد القصور والمناصب؛ وبذلك التقى فيها الناس من مختلف الطبقات ـ غنيّها وفقيرِها، عزيزها وحقيرِها. وأخذت تتطوّر حياتها الاجتماعية والسياسية، وفقاً لاختلاف عناصر سكّانها وتنوّع مشاربهم وأذواقهم وثقافاتهم. ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى أصبحت ـ في عهد الرشيد ـ أُمَّ المدائن الإسلامية المتحضّرة في مشارق الأرض ومغاربها.

وكان معظم الوافدين إليها من سكّان فارس لقربها من بلادهم. ولأنّ الدولة العباسية ذاتَها قامت على أكتاف أعاجم الفرس وبمسعاهم، واستحالت «عجمية فارسية» كما وصفها الجاحظ[2].

وقد اختلط هؤلاء الأعاجمُ بالعرب وامتزجوا بهم، ونقلوا تقاليدهم وعاداتهم وأساليب معيشتهم وطرائف فنونهم في المآكل والمشارب والبناء، حتّى لم يعد لبغداد ذلك الطابع العربي الذي عرفت به دمشق أميّة، بل أصبح يغلب عليها طابع المدن الفارسية.

ولقد أدّى هذا الاختلاطُ وذلك التمازجُ، مع تدفّق هؤلاء الأقوام إلى العاصمة العباسية، إلى ظهور تناحرٍ قوميّ بين العرب والفرس، كان من أوّل مظاهره مقتلُ أبي مسلم الخراساني، وما تلاه من اضطراباتٍ سياسية وفتنٍ دامية. وقد تطّور هذا الصراع إلى ظهور نزعة الشُّعوبيّة التي تقلّلُ من شأن العرب وتحطُّ من قدرهم.

وما كاد هذا الصراع يهدأ قليلاً، حتى برز بشكلٍ أعنف في نكبة البرامكة على يد الرشيد، الذي كان قد قرّبهم من القصر وسلّمهم مقاليد الأمر، فقال ليحيى البرمكي: «قد قلّدتك أمر الرعيّة، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من العدل، واستعمل من رأيتَ، واعزل من رأيت، وامضِ الأمور على ما ترى، ودفع إليه خاتمه[3]».

---

(١) بروكلمن: تاريخ الشعوب الإسلامية، ٢/٨.
(٢) الجاحظ: البيان، ٣/٣٦٦.
(٣) الطبري: تاريخ، ٩/٦٠٣، ٦٠٤.

وقد اختلف الباحثون في أسباب تلك النكبة المفجعة. ولكن يبدو أنّ طغيان نفوذِهم وازديادَ شوكتِهم كان العاملَ على القضاء عليهم. قال ابن خلدون: «وإنّما نَكَبَ البرامكةَ ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجافهم أموالَ الجباية، حتّى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه. فغلبوه على أمره، وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرّف في أمور مُلْكِه، فعظُمت آثارهم، وبَعُد صِيتُهم، وعَمروا مراتبَ الدولةِ وخُطَطَها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عمّن سواهم من وزارةٍ وكتابةٍ وقيادةٍ وحجابةٍ وسيفٍ وقلم...[1]».

حياتها الاقتصادية:

أمّا الحياة الاقتصادية في بغداد فقد ازدهرت إلى حدٍ بعيد، وانهالت الخيرات على بغداد وحكّامها من مختلف الأصقاع والبقاع، وتدفّقت الثروات من كلّ مكان. وكان الخليفة ومعاونوه هم القيّمون على هذه الأرزاق، يُعطون من يستحقّ العطاء ويحرمون من لا يستحقّه. وبذلك توافرت لهؤلاء الحكّام حياةُ البذخِ والترف، فتشبّه بعضهم بأكاسرة الفرس في مآكلهم وملابسهم وأصناف معيشهم. فهذا المنصور يستجيد العجّة من المخ والسكّر[2]. والمهدي يأتي لطبّاخه بمن يلقّنه صُنع ألوانِ المخّ المعقود بالسكّر والعسل وغير ذلك من المآكل الطّيبة[3].

وقد تفنّنوا في اللباس دِيباجاً وحريراً وخِزّاً، وفي الأثاث والزينة، واتخذوا القِباب من الفضّة والأبنوس والصندل وكلاليبها من الذهب والفضّة، ملبّسةً بالوَشْي والسّمور والديباج وألوان الحرير[4]. وتكدّست الثروات لديهم، فليس غريباً أن يكون للخَيْزُران[5] مائة وستون مليون درهم[6]. وكان البذخ في العطاء من علامات هذا الازدهار الاقتصادي؛ فهذا المهدي يقدّم لمروان بن أبي حفصة آلافاً من الدراهم، بعدد أبيات قصيدته[7]. وهذا يحيى بن خالد البرمكي يهب إسحاق المَوْصليّ[8] مائة ألف درهم ثمناً لصوته[9].

---

(١) ابن خلدون: مقدّمة، ص١٤.
(٢) المسعودي: مروج، ٦/ ١٩٨.
(٣) المسعودي: مروج، ٦/ ٢٢٦، ٢٢٧.
(٤) المسعودي: مروج، ٦/ ٢٣٤، ٨/ ٢٩٨.
(٥) الخيزران (٠٠٠ ـ ١٧٢هـ/ ٧٨٩م): زوجة المهدي العباسي وأمّ ابنيه الهادي والرشيد، أميرة حازمة متفقّهة، يمانية الأصل. وكانت من جواري المهدي، فأعتقها وتزوّجها (الزركلي: أعلاء، ٢/ ٣٧٥).
(٦) المسعودي: مروج، ٦/ ٢٨٩.
(٧) الأصفهاني: الأغاني، ١٠/ ٨٧ (ط. بولاق).
(٨) إسحاق الموصلي (١٥٥هـ/ ٧٧٢م ـ ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م): هو إسحاق بن إبراهيم المَوْصلي، من أشهر ندماء الخلفاء، يتفرّد بصناعة الغناء. فارسي الأصل، كان راوياً للشعر حافظاً للأخبار. مولده ووفاته ببغداد. (الزركلي: أعلام، ١/ ٢٨٣).
(٩) الكميت: حلبة الكميت، ص٧٣.

وانتقلت عدوى الإسراف هذه ـ بصورة خاصّة ـ إلى طبقة الأدباء والشعراء، الذين استعانوا بما كان يُغدقه هؤلاء عليهم من مالٍ على مثل هذه الحياة. فعقدوا المجالس للشراب والغناء، وتهافتوا على اللّذة، وقصدوا الحاناتِ والمواخير، وسعَوْا وراء الجواري والغِلمان[1].

وقد أدّى هذا الإسراف وذلك الاستهتار إلى ظهور حركة مضادّة؛ إذ أثارت هذه التصرّفات الاتقياء فتزهّدوا وقنعوا، حتّى قال أحدهم[2]:

قل لمن أظهرَ التنسّكَ في النا ... سِ وأمسى يُعَدّ في الزُّهاد
الزمِ الثغرَ والتواضعَ فيه ... ليس بغدادُ منزلَ العُبّادِ
إنّ بغدادَ للملوكِ محلٌّ ... ومُناخٌ للقارىء الصيّاد

كما أثارت تلك المظاهر الفقراء والمساكين فنقموا. فهذا أبو العتاهية يعبرّ عن مشاعرهم وينطق بلسانهم، مخاطباً الرشيد[3]:

مَنْ مبْلغٌ عنّي الإما ... مَ نصائِحاً متواليهْ
إنّي أرى الأسعا ... رَ أسعارَ الرعيّةِ غالِيَهْ
وأَرى المكاسبَ نَزْرَةً ... وأرى الضرورةَ فاشِيَهْ
وأرى الأرامِلَ واليتا ... مَى في البيوتِ الخاليه
مَنْ للبطونِ الجائعا ... تِ وللحلوم العاريه
يا بنَ الخلائفِ لا فُقِدْ ... تَ ولا عَدِمْتَ العافيه
ألقيتُ أخباراً إليـ ... ـكَ عن الرعيّةِ شافِيَه

وكان هؤلاء الناسُ ـ في كثرتهم ـ من الموالي الذين تقاطروا إلى بغداد من المناطق المجاورة، والذين أحسّوا بالغبن اللاحق بهم؛ فصاروا مطيّةً لأصحاب الأهواء وحملة الدعوات المشبوهة من الحركات الباطنية[4].

أمّا المرأة فقد ارتقى مركزها إلى حدٍ كبيرٍ، وشاركت الرجل في مختلف ميادين

---

(١) أبو هفان: أخبار أبي نواس، ص٣٦، ٥٠، ٦٧، ٦٩. إنّ ما تذكره كتب الأخبار والأدب حول الخلفاء العباسيين الأوائل لا يؤخذ على محمل الجدّ. فسيرة هؤلاء تخالف هذه المزاعم. فهذا ابن خلدون ينقل عن الطبري وغيره: أنّ الرشيد كان يصلّي في كلّ يوم مائة ركعة نافلة، وكان يغزو عاماً ويحجّ آخر. ويضيف قائلاً: وكان أبو جعفر المنصور بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها، وهو يتورّع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال (المقدّمة، ص١٧، ١٨).

(٢) ياقوت، معجم الأدباء، ١/ ٦٩٠.

(٣) أبو العتاهية: ديوان، ص٣٠٣.

(٤) لويس: العرب في التاريخ، ص٩٨.

الحياة، واشتهرت كثيراتٌ منهن في فنون الأدب، أمثال عُلَيّة بنت المهدي[1]. وكان منهن النابغات في علوم الشريعة، ومَن شغلنَ مكانةً عاليةً في المجتمع الإسلامي. وقد كان التشارك بين الرجل والمرأة واضحاً في المناظرات العلمية والأدبية والفكرية، ولكن هذه المشاركة كانت في حدود ما تسمح به الشريعةُ الإسلامية.

ولا بدّ من الإشارة ها هنا إلى دور الجواري في تنشيط الحياة الأدبية وازدهارها، إذ كان لهنّ أثرٌ فعّالٌ في إثارة المشاعر وتحريك العواطف الإنسانية، وصبغها بألوانٍ زاهية وإشراقٍ جميل.

حياتها العلمية والأدبية:

شهدت بغداد في ذلك العهد حركةً فكريةً ناشطة، نجمت عن اتصال العرب بغيرهم من الشعوب، خاصّة أعاجم الفرس الذين كانت لهم حضارةٌ عريقةٌ في أصولها، برّاقةٌ في مظاهرها. كما خبروا علوم اليونان والهنود وفلسفتهم؛ ثم كانوا حلقة الاتصال، فترجموا تلك المعارف والعلوم إلى اللغة العربية.

وكانت حركة الترجمة قد بدأت منذ العصر الأموي على يد خالد بن يزيد[2]؛ ولكنّها كانت محاولاتٍ فرديّة. ولا ننسى في هذا المجال دور المراكز التي ساهمت في هذه النهضة العلمية وفي نشر تلك المعارف، وكان في مقدّمتها مدارس جُنْدِيسابور والرُّها وحرّان، وغيرها من المراكز التي كانت تعمل على نشر الثقافة اليونانية والهندية بصورة خاصة[3].

وازدهرت حركةُ الترجمةِ والنقلِ في عهد أبي جعفر المنصور، فقد تُرجمت كتب

---

(١) عُليّة بنت المهدي (١٦٠هـ/ ٧٧٧م ـ ٢١٠هـ/ ٨٢٥م). أديبة شاعرة، تحسن صناعة الغناء (الزركلي: أعلام، ٥/ ١٨٩).

(٢) خالد بن يزيد (٠٠٠ ـ ٨٥هـ/ ٧٠٤م).
هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، الخليفة الأموي، حكيم قريش وعالمها في عصره. اشتغل بالكيمياء والطبّ والنجوم فأتقنها وألّف فيها رسائل. وهو أوّل من ترجم كتب النجوم والطبّ والكيمياء (الزركلي: أعلام، ٢/ ٣٤٢).

(٣) جُنديسابور: مدينة في خُوزستان، أسّسها الملك سابور الأوّل الساساني، وأسكن فيها الشعوب اليونانية التي أسرها. فتحها أبو موسى الأشعري على أيام الخليفة عمر (رض). اشتهرت بمعهدها الطبّي (ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ١٧٠).
الرُّها: الرّها مدينة قديمة من مدن ما بين النهرين، كانت تقوم مكان أورفا الحالية في تركيا. كانت من المراكز الدينية الكبرى في الأمبراطورية البيزنطية. استولى عليها المسلمون سنة ٦٠هـ/ ٦٣٩م. (الموسوعة الميسّرة، ص٦٩٩).
حرّان: كانت قصبة ديار مُضر، وهي على طريق الموصل والشام. فتحت في أيّام عمر بن الخطاب (رض) (ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٢٣٦).

أرسطو في المنطق من اليونانية، وكتاب كليلة ودمنة في الأدب من الفارسية، وكتاب السندهند[١] من الهندية.

وذكر صاحب طبقات الأطبّاء أنّ المنصور كان يستدعي رئيس أطبّاء جنديسابور جورجيوس بن بختيشوع لمعالجته[٢].

أمّا دَوْر الخلفاء في تشجيع حركة الترجمة والنقل، فكان له الأثر الفعّال في ازدهارها وتنشيطها ورواجها، فلقد عثر الرشيد في حروبه في أنقرة وعمّورية[٣] وسائر بلاد الروم على كتب كثيرة حملها إلى بغداد، وعهد إلى طبيبه يوحنّا بن ماسويه بترجمتها[٤].

وهذا هو الرشيد يوعز لجبريل بن بختيشوع بإنشاء بيمارستان في بغداد على غرار بيمارستان جنديسابور[٥].

وهكذا، فقد أخذت الفلسفة اليونانية والعلوم الأخرى تتسرّب إلى العرب عن طريق هؤلاء الأعاجم، فنشأ علمُ الكلامِ والمنطق، الذي بدا أثره واضحاً عند بعض الفرق الإسلامية كالمعتزلة وغيرها.

ولقد تركت هذه العلومُ أثراً واضحاً في حياة الناس الخاصّة والعامّة، فكثُرت البدع، وأخذنا نسمع بالزندقة، تلك اللفظة التي كانت تطلق - في الأصل - على كلّ من يؤمن بالمانوية ويُثبت أصلَيْن أزليّين للعالم، هما: الظُّلمة والنور؛ ثم أصبحت تُطلق على أصحاب البدع والملحدين، لا بل على كلّ من يدعو لإطلاق حريّة الفكر، وانتهى بها الأمر إلى أن تُطلق على المخالفين لأهل السنّة، كما وُسِم بها الشعراء والكتّاب الماجنون[٦].

ولم تكن هذه المظاهرُ هي الوحيدة التي شهدها هذا العصر، بل شهد تطوّراً فكرياً في مختلف النواحي الدينية، لمواجهة المشكلات الاجتماعية التي جابهت تطوّر الحياة في هذه المدينة الرائدة والقائدة للعالم الإسلامي في ذلك الزمن.

وعِلاوةً على العلوم الدخيلة التي جاءت عن طريق الترجمة والنقل، فقد نشطت

---

(١) كتاب السند هند: رسالة في الفَلك، قدم بها إلى بغداد رحّالة هندي، وتمّت ترجمتها بأمر المنصور.

(٢) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ١/ ٦٩٠.

(٣) عمّورية: مدينة قديمة في آسيا الصغرى، فتحها المسلمون على أيّام الخليفة المعتصم، وهزموا فيها البيزنطيين ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م (الموسوعة الميسّرة).

(٤) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ١/ ١٧٥.

(٥) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، ١/ ١٧٤. بيمارستان: هي دُور للعلاج ودراسة الطبّ في العصر الإسلامي.

(٦) بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص٢٤.

وراجت العلوم الدينية واللسانيّة. أمّا العلوم الدينية فكان الدافع لها الشعور بالمسؤولية الذاتية عند علماء الدين أنفسهم، الذين وجدوا من واجبهم أن يحملوا لواء هذه العلوم ابتغاء مرْضاةِ الله؛ فازدهرت علوم الفقه والشريعة والحديث تِبعاً لذلك. ووفد على بغداد كثير من العلماء، من محدّثين وقرّاء وفقهاء، كان أبرزهم من وَفَدَ من الكوفة كإسحاق بن مُرار الشيباني المحدّث، وشيبان بن عبد الرحمن القارىء المحدّث[1]، وأبي حنيفة الفقيه[2]، الذي أسّس مدرسةً في الفقه تقوم على الرأي في معالجة مشكلات الحياة المستجدّة؛ وذلك تلبيةً لحاجات المجتمع الجديد ـ تلك الحياة التي تعقّدت بتعقّد الحياة الاجتماعية، وتنوّعت بتنوّعها. وكان من أتباع هذه المدرسة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم[3]، الذي وضع كتاباً في الخراج في عهد الرشيد، وذلك استجابةً للحياة الاقتصادية القائمة عصرئذ.

وأمّا العلوم اللسانية فقد انتقلت إلى بغداد من مدينتي البصرة والكوفة، وجاءت معها الخلافات المشهورة بينهما، إذ انتقل عددٌ من علماء هاتين المدينتين إليها، بعد أن أصبحت عاصمةَ الخلافةِ ومقرَّ القصور والعطاء، كما جاء عدد منهم بتشجيع الخلفاء أنفسهم، الذين أحبّوا الأدب وأهله، وأحبّوا تأديب أبنائهم على أيديهم.

وهكذا، تجمّع كثيرٌ من الشعراء والأدباء والعلماء في بغداد، فنتج عن ذلك نشاطٌ واسعٌ في الحركة الأدبية، ساعد على ازدهارها عطاء الخلفاء والأمراء لأهل الشعر والأدب. فالرشيد أعطى الفضل بن يحيى ـ كما تزعم الروايات الأدبية ـ خاتماً قيمته ألف وستمائة دينار مكافأةً على أحسن بيت قالته العرب في الذئب[4]، والأمين حشا فَمَ أبي نُواس بالدرّ حين استحسن مديحه له[5]، وزُبَيْدة[6] ملأت فَمَ سلم الخاسر

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء، ٦/ ٧٨.

(٢) أبو حنيفة (٨٠هـ/ ٦٩٩م ـ ١٥٠هـ/ ٧٦٧م).
هو النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء. إمام الحنفيّة، الفقيه المجتهد المحقّق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة، أصله من فارس (الزركلي: أعلام، ٩/ ٤).

(٣) يعقوب بن إبراهيم (١١٣هـ/ ٧٣١م ـ ١٨٢هـ/ ٧٩٨م).
هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه، وأوّل من نشر مذهبه. ولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد (الزركلي: أعلام، ٩/ ٢٥٢).

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ١/ ٦٢.

(٥) أبو هفان: أخبار أبي نواس، ص٧١.

(٦) زبيدة (٠٠٠ ـ ٢١٦هـ/ ٨٣١م).
هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر زوجة الرشيد وبنت عمه. تزوّج بها الرشيد ١٦٥هـ/ ٧٨١م، وهي أمّ الأمين العبّاسي. كانت من فضليات النساء وشهيراتهن (الزركلي: أعلام، ٣/ ٧٢).

دُرّاً باعه بعشرين ألف دينار، حين مدح الرشيد عندما عقد البَيْعة لابنه محمد الأمين[1].

أمّا الفضلُ بنُ يحيى فقد نثر عطاءه بين الشعراء، حتّى قال أحدهم فيه[2]:

عَلّمَ المُفْحَمينَ أن ينطقوا الأشعارَ مِنّا والباخلينَ السخاءَ

ولعلّ أكثرَ الخلفاءِ تشجيعاً للشعراء هارون الرشيد، الذي قيل: إنّه لم يجتمع بباب أحدٍ من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع ببابه من فُحولة الشعراء كأبي نُواس، وأبي العتاهية، والعتّابي[3]، والنّمري[4]، ومسلم بن الوليد، وأبي الشُيص[5]، وابن أبي حفصة، ومحمد بن مناذر[6].

ولا بدّ أن نشير ها هنا إلى أنّ هذا التشجيع لم يكن خالصاً لوجه الأدب فحسب، بل كانت هناك عوامل سياسية تدفع إلى تشجيع الأدب وأهله. فقد كان الشاعر في ذلك العصر كالصُحافي في أيامنا هذه؛ فهو الذي يُعلي الشأن ويمدح، وهو الذي يعيب فيفضح.

لهذا، كان الخلفاء والأمراء يقرّبون إليهم الشعراءَ ليكونوا لسان دعوتهم وحملة لفكرتهم السياسية، ودفاعاً عن حقّهم في الحكم وأهليّتهم له.

وخلفاء بني العباس أحوج ما يكونون لمثل هذه الألسنة في مثل تلك الأحوال. فبعد أن تغلّب جيش أبي مسلم على الأمويين وقهرهم، إنهار حكمُ بني أميّة وانتقلت الخلافة إلى حكّام جدد. فكان أبو العباس السفّاح أوّل خلفاءِ العهد الجديد؛ ولكن لم يُتح له أن يحكم سوى مدّة قصيرةٍ من الزمن، فانتقلت الخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور ليكون المؤسّس الحقيقيّ لسلطان بني العبّاس. وكانت المشكلة الأولى التي

---

(١) البغدادي: تاريخ، ٩/ ٣٨.

(٢) الجهشياري: الكتاب والوزراء، ص١٩٥.

(٣) العتابي (٠٠٠ ـ ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م).

هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، كاتب حسن الترسّل، وشاعر مجيد، يسلك طريقة النابغة. يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي، (الزركلي: أعلام، ٦/ ٨٩).

(٤) النمري: (٠٠٠ ـ نحو ١٩٠هـ/ ٨٠٥م).

هو منصور بن الزّبرقان النميري، شاعر من أهل الجزيرة الفراتية، كان يظهر للرشيد أنّه عباسي منافر للشيعة العلوية، وله شعر في ذلك (الزركلي: أعلام، ٨/ ٢٣٨).

(٥) أبو الشيِّص (٠٠٠ ـ ١٩٦هـ/ ٨١١م).

هو محمد بن علي الخزاعي، شاعر مطبوع، رقيق الألفاظ، من أهل الكوفة (الزركلي: أعلام، ٧/ ١٥٤).

(٦) محمد بن مناذر (٠٠٠ ـ ١٩٨هـ/ ٨١٣م).

هو محمد بن مناذر اليربوعي بالولاء، شاعر كثير الأخبار والنوادر (الزركلي: أعلام، ٧/ ٣٣١).

واجهته هي القضاء على حركة عمّه عبد الله بن علي الذي هبّ يطالب بالخلافة لنفسه، فهزمه أبو مسلم في شمال سوريا.

ولكن لم يمض وقتٌ قصير حتى عمل المنصور على التخلّص من أبي مسلم، لعدم اطمئنانه إليه وشكّه في نواياه.

ومن القضايا الخطيرة التي واجهت العباسيين طموح العلويين وسعيهم للوصول إلى سُدّة الحكم. فقد كانوا يظنّون أنّ أهل خراسان يعملون لمصلحتهم، وعندما تبيّن لهم أنّ الفرصة قد أفلتت من أيديهم أشعلوا الثورات هنا وهناك، ولم يذعنوا إلّا بعد سلسلةٍ من المعارك الدامية التي ما كانت تنطفىء إحداها حتى يذرّ قرن أخراها.

وهكذا، وجد العبّاسيون أنفسهم أمام عقباتٍ عديدة، كان عليهم أن يتخطّوْها حتى يستتبَّ الأمر، فتهدأ الخواطرُ ويستقرّ الحكم لهم. فما أحوجهم في مثل تلك الأحوال العصبية إلى شعراء يدعمون حقّهم أمام مناوئيهم من العلويين، الذين استمرّوا يشكّلون خطراً عليهم لمدة طويلة[1].

وكان لذلك الصراع السياسي أثره في الانتاج الأدبي، إذ ناصر بعض الشعراء هذا الفريق وعاداه آخرون، ودافع بعضهم عنه اعتقاداً؛ بينما تزلّف غيرهم وتقرّبوا من ذوي السلطان ممالأة ونفاقاً[2].

وأشهر هؤلاء الشعراء أبو دلامة[3]، ومروان بن أبي حفصة، وأبو العتاهية. وساند آخرون العلويين، ونظموا القصائد الطوالَ في مدح علي (رض) وبيان حقّه وحقّ آلهِ في الإمامة. ومن أشهر هؤلاء دِعْبل الخُزاعي الذي لم يسلم منه أحدٌ من الخلفاء[4]، والسيّد الحِميري الذي كان معظمُ شعره في مدح عليّ وهجاء كلّ مَن قام حاجزاً بينه وبين خلافة الرسول ﷺ[5].

وقد تشدّد الخلفاء ـ قبل المأمون ـ مع هؤلاء الشعراء، مما أدّى إلى النفاق والتظاهر بغير ما يبطنون. فمنصور النمري ـ مثلاً ـ كان يتظاهر بالميل إلى العباسيين؛

---

(١) بروكلمن: تاريخ الشعوب الإسلامية، ٢/ ٥، ٦.
(٢) الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ١٢٣ (ط. بولاق ١٢٨٥هـ).
(٣) أبو دُلامة (٠٠٠ ـ ١٦١هـ/ ٧٧٨م).
هو زند بن الجون، شاعر عباسي مشهور، أدرك أواخر الدولة الأموية. جمع بين المدح التكسّبي والمجون الخلاعي. إتهمه صاحب الأغاني بالزندقة (الزركلي أعلام، ٣/ ٨٤).
(٤) الأصفهاني: الأغاني، ١٨/ ١٩ (ط. بولاق ١٢٨٥هـ).
(٥) الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٢ (ط. بولاق ١٢٨٥هـ).

بينما كان يبطن الولاء للعلويين، وأبان اللاحقي اضطر إلى نظم قصيدةٍ لا تتفق مع هواه، ليتمكّن من الدخول على الرشيد[1].

ويبدو أنّ شاعرنا سلم الخاسر كان منقطعاً إلى البرامكة، وإلى الفضل بن يحيى من بينهم، ومدح الخلفاء والأمراء العباسيين، ومع ذلك لم يسلم من تهمة الميل إلى العلويين[2].

وهكذا، نلاحظ أنّ الحياة الأدبية في بغداد كانت ناشطةً ومزدهرةً إلى حدّ بعيد، يغذّيها تشجيعُ الخلفاءِ والأمراء، وتُؤجّجها روحُ الصراع الدائِر هناك، وتنوّعها حياة بغداد بألوانها المختلفة.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/٢٢٩ (ط. بولاق ١٢٨٥هـ).

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/٢٢٩ (ط. بولاق ١٢٨٥هـ).



الفصل الثالث

سَلْم وأعلامُ عصرِه

سَلْم مَن مخضرمي العهدين ـ الأموي والعباسي. أدرك أواخر الدولة الأموية، وشهد انتقالَ الحكمِ إلى العباسيين.

كان الانقلاب العباسي من أبرز الأحداث السياسية وأخطرها في تاريخ الدولة الإسلامية، منذ نشأتِها في المدينة المنوّرة حتّى ذلك الحين؛ وذلك لما ترتّب على ذلك الحَدَث من نتائجَ بارزة، شهدنا آثارها في مختلف جوانب الحياة العباسية.

ولو استعرضنا تاريخ الحِقْبة التي عاش فيها شاعرنا، لوجدنا أنّ النفوذ في ذلك العهد كان يرتكز على ثلاث دعائم مهمّة، هي:

أوّلاً: القادة والأمراء، وكان من ألمعهم عمر بن العلاء، ومعن بن زائدة، ويزيد بن مِزْيد، وعاصم بن عُتبة. هؤلاء القادة لعبوا دوراً بارزاً في إخماد الفتن وسحق الثورات المناوئة للحكم الجديد. كما لا ننسى يعقوب بن داود الذي آخاه المهدي، والفضل بن الربيع الذي كان خصماً عنيداً للبرامكة في القصر، ثمّ كان خليفةً لهم بعد نكبتهم على يد الرشيد[1].

ثانياً: أسرة البرامكة، وكان من بينهم خالد البرمكي الذي ولاّه المنصور ولاية الموصل ١٤٨هـ/ ٧٦٥م[2]. ثم جاء ابنه يحيى الذي كان مؤدّباً للرشيد العباسي، وكذلك الفضل بن يحيى الذي كان أخا الرشيد في الرضاعة[3]. وقد ازداد نفوذ البرامكةِ بمجيء هارون الرشيد، وانتهى أمرهم على يديه ١٨٧هـ/ ٨٠٢م.

ثالثاً: الخلفاء، وهم أصحاب النفوذ الفعلي، إذ رغم تسلُّط الأعاجم على شؤون الحكم، كانت لهم الكلمة الفاصلة في الأمور المصيرية.

يبدو لنا ـ من خلال شعره وأخباره ـ أنّ سلماً الخاسر قد اتصل بالفئات الثلاث من أصحاب النفوذ فمدحهم، وأسرفوا في عطائه.

---

(١) بروكلمن: تاريخ الشعوب الإسلامية، ٢/ ٢٠.

(٢) أبو الفداء: تاريخ، ٢/ ٣.

(٣) الطبري: تاريخ، ٦/ ٣٤١.

سلم والقادة والولاة

سلم وعمر بن العَلاء[1]:

لا نستطيع تحديد الوقت الذي اتصل به سلم بهذا القائد الكبير. ويُرجّح أنّ ذلك كان بين سنتي ١٤١هـ/ ٧٥٨م و١٥٤هـ/ ٧٧٠م، حينما كان سلم من غِلمان بشّار، ولم يتجاوز طوق أستاذه ولا تمكّن من فنه. ولكن يبدو أنّ اتصاله بهذا القائد الجواد شجّعه على الانعتاق من قيده والانطلاق نحو آفاق رحيبة، سعياً وراء العطايا من ذوي الفضل وأصحاب الثراء.

كان اتصاله بهذا الوالي لأوّل مرة، عندما أرسله بشّار يحمل إليه قصيدته التي يقول فيها:

إذا نبّهتك صعابُ الأمورِ ... فنبّه لها عُمراً ثمّ نَمْ

فتىً لا يَبيتُ على دِمنةٍ ... ولا يشربُ الماء إلّا بدَمْ

وحينما وافى سلمٌ عمر بن العلاء وأنشده قصيدة بشّار، أمر عمر لبشّار بمائة ألف درهم، فسالَ لعابُ سلم، وانتهز الفرصة وقال له: «إنّ خادمك ـ يعني نفسه ـ قد قال في طريقه إليك قصيدة، قال: فإنّك لهناك! قال: تسمع ثم تحكم. قال: هاتِ! فأنشده قصيدته التي مطلعها[2]:

قد عزّني الداءُ فما لي دواءْ ... ممّا أُلاقي مِن حسانِ النساءْ

والتي يقول فيها:

كم كُربةٍ قد مسّني ضُرُّها ... ناديتُ فيها عمرَ بنَ العَلاءْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّةٍ سنيّةٍ وصلت إليه[3].

وهكذا أخذ يتقرّب منه، حيث جعل من هذا الاتصال مقدّمة ليقرع بابه، كلّما نالته الكُرَب بضرّها؛ فكأنما يتوسّل إليه ليكون من شعرائه المقرّبين، المشمولين بعطائه وكرمه.

---

(١) عمر بن العلاء (٠٠٠ ـ ١٦٥هـ/ ٧٨٢م).
كان عامل المهدي العباسي على طبرستان، وقد أبلى بلاء حسناً في قتال الثوار؛ فجعله من جملة قوّاده (زامبور: ولاة طبرستان ـ معجم الأنساب).

(٢) ق/ ١ (الديوان).

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٩، ٢٢٠.

سلم ومعن بن زائدة[١]:

كان معنٌ رجلاً شجاعاً يصنع الموت بسيفه، وقائداً مِقْداماً ترهبه المنايا. هكذا بدا لسلم حين يقول فيه:

إنّ المنايا في السيوفِ كوامِنٌ حتّى يُهيّجها فتىً هيّاجُ

ولم يكن معنٌ رجل حربٍ وبلاء فحسب؛ بل كان جواداً كريماً. فهو مِعْطاء لا يكلّ من العطاء، وسلم مُعجب بكرمه، فكلّما سأله أعطاه، وكلّما قصده عاد محمّلاً من مكارمه ومعروفه[٢].

ويبدو أنّ هذا القائد كان يبادل الشاعر إعجاباً بإعجاب، إذ سُئل معن مرّةً ما أحسن ما مُدح به من الشعر ـ رغم كثرة الشعراء الذين مدحوه ـ فقال: أحسن ما مدحت به قول سلم الخاسر[٣]:

أَبلغِ الفِتيانَ مَأْلُكَةً أنَّ خيرَ الوُدِّ ما نَفَعا
إنّ قوماً مِن بني مطَرٍ أتلفتْ كفّاه ما جمَعا
كلّما عُذنا لنائِلِه عادَ في معروفِهِ جَذَعا

وعندما توفّي الله مَعْناً رثاه سلم وذرف الدمع غزيراً، وندب حظّه الذي رُزء بموت هذا الجواد الذي كان غِياث الحيارى وملجأ المحتاجين، فقال في ذلك[٤]:

أينَ مَعْنٌ أبو الوليدِ ومَنْ كا نَ غِياثاً للهالكِ الحَيْرانِ

وحفظ للتاريخ مثواه بقوله:

ذاكَ معنٌ ثَوَى بِبُسْتَ رَهيناً وشِهابٌ ثَوى بأَرضِ عُمَانِ

سلم ويعقوب بن داود[٥]:

كما كان يعقوب يُجيد التزلّف للخلفاء والأمراء ويحُسن التمرّغ على عَتَبات قصور العباسيين، كان سلم يحسن التملّق للفريقين معاً.

(١) معن بن زائدة (٠٠٠ ـ ١٥١هـ/ ٧٦٨م).
كان من القوّاد المشهورين بصلابتهم وشجاعتهم، وهو ينتمي إلى قبيلة شيبان الذين عرفوا بشجاعتهم في الجاهلية والإسلام. وترجع صلته بالعباسيين إلى أبي جعفر المنصور، حيث قاتل بين يديه في خراسان، وأظهر شجاعة نادرة، ممّا دعا المنصور أن يجعله من خواصّه. قتله جماعة من الخوارج ١٥١هـ/ ٧٦٨م (الزركلي: أعلام، ٨/ ١٩٢).

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٢. (٣) القالي: أمالي، ٢/ ١٦١.

(٤) ق/ ٦٤ (الديوان).

(٥) يعقوب بن داود (٠٠٠ ـ ١٨٧هـ/ ٨٠٣م).

كان يعقوب بن داود منفيّاً ومسجوناً في عهد المنصور، ولكن بعد وفاته أخذ يتقرّب من المهدي؛ فرضي عنه وأدناه وتوطّدت العلاقة بينهما حتى قيل: إنّه آخاه، فما كان على سَلْم إلّا أن يمدح الاثنين؛ فإذا الإمامة حقّ إلهي من السماء، ويعقوب أخوه في الله، ورباط التقوى يجمع بينهما للتعاون على حمل مسؤولية الحكم وأعباء الخلافة. هذا ما خاطب به المهدي حين عهد بالوزارة إلى يعقوب[1]:

قل للإمام الذي جاءت خلافتُهُ ... تُهْدَى إليه بحقٍ غيرِ مردودِ
نِعْمَ المعينُ على التقوَى أُعِنْتَ بهِ ... أخوكَ في الله يعقوبُ بن داودِ

ويبدو أنّ يعقوب لم يكتفِ بوصوله إلى هذه المكانة الرفيعة والسلطة النافذة، فأخذ يأتي بالزيدية من كل مكانٍ ويقلّدهم المناصب ويُغدق عليهم العطايا. ولعلّ ما يثير الدهشة أنّ المهدي كان يزداد له محبّة، حتى عزل أحد كبار معاونيه، وسلّم مهمّاته إلى يعقوب. وهذا الواقع يجعل الشاعر سلم أكثرَ جرأةً وأشدّ صراحةً في التدخّل بشؤون الحكم، فيرى أنّ يعقوب يستحق أن يُوثَقَ به، لأنّه خبيرٌ بأمور الدولة وحلّالٌ لمشكلاتها.

أمّا ذلك الوزير الذي دخل بابَ القصر متوسّلاً فإنّه يحاول التعالي على مقام الخلافة، فيناله شؤم الطالع. هذا التأييد ليعقوب جاء به سلم الخاسر في قصيدته التي يقول فيها[2]:

يعقوبُ ينظرُ في الأمو ... رِ وأنتَ تنظرُ ناحِيَهْ
أَدخلتَهُ فَعلا عَلَيـ ... ـكَ كذاكَ شُؤمُ الناصِيَهْ

لم تدم النعمة لهذا الوزير؛ إذ مهما حاول الإنسان أن يُلبس نفسه ثوباً مستعاراً فلا بدّ أن يأتي يوم تتمزقّ فيه الأستار وتنكشف الأسرار. هذا ما حدث ليعقوب، فقد اتصل بالمهدي أنّ وزيره يُبطن العلويّة؛ وعندما اختبره عرف خبيئة نفسه، فعزله وأمر بحبسِه في المُطْبَق وصادر أمواله[3].

= هو أبو عبد الله يعقوب بن داود السُلمي بالولاء، كان كاتباً عند إبراهيم بن عبد الله بن الحسين بن أبي طالب، وكان أهل أدب وفضل. قيل إنّ المهدي فوّض إليه أمر الخلافة، فأرسل إلى الزيدية، فأتى بهم من كلّ مكان، وولّاهم من أمور الدولة في المشرق والمغرب كلّ جليلٍ وعملٍ نفيس. ولذلك قال بشّار بن برد:

بني أميّة هبّوا طالَ نومكم ... إنّ الخليفةَ يعقوبُ بن داود

(الزركلي: أعلام، ٩/ ٢٥٨).

(١) ق/ ١٧ (الديوان).

(٢) ق/ ٦٧ (الديوان).

(٣) ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٢٣١.

إنّ العلاقة الوطيدة التي كانت تربط بين يعقوب الوزير وسلم الشاعر، لا يمكن المرور بها مروراً عابراً، فلا بدّ من الإشارة إلى أنّ كلا الرجلين اتُّهم بالميل إلى العلويين. يعقوب سجنه المنصور لذلك، وسلم سيكون موضع اتّهام المهدي له، ولن ينجو يعقوب ثانية من عقاب المهدي نفسه. فليس من المستبعد ـ والحالة هذه ـ أن يكون التشيّع هو الذي جمع بينهما ووحّد هدفيهما.

سلم والفضل بن الربيع[1]:

ليست لدينا من الآثار ما يشير إلى اتصال سلم بوالد الفضل؛ ذلك الرجل الذي استوزره المنصور، ولعب دوراً بارزاً في إخماد نار فتنةٍ كادت تثور بعد وفاة الخليفة المنصور، إذ بادر إلى تهدئة الخواطر وأخذ البَيْعة للمهدي. فهدأت النفوس، وقضى على الفتنة في مهدها[2].

لم يسجّل سلم هذه الواقعة في حينها، ولكن عندما أتاحت له الأيّام التقرّب من ولده الفضل، إذا به يثبت للتاريخ هذه الحادثة، ويصوّرها بالخطورة القاصمة التي كادت تذهب بقريش وملكها، لولا الربيع الذي حزم الأمور في نصابها، وحمى الاسلام والمسلمين من فتنةٍ وقى الله شرّها.

هذه الحادثة التاريخية جاء سلم على ذكرها حين مدح الفضل بن الربيع قائلاً[3]:

وأيـن مَـن جـبـرَ الإسـلامَ يـوم وهَـى	واسْتَنْقذَ الناسَ مِن عمياءَ صَيْخودِ
قـالـتْ قـريـشٌ غداةَ انـهـاضَ مـلـكـهـمُ	أيـنَ الـربـيـعُ؟ وأعـطَوْا بـالـمـقـالـيـدِ

ويقول فيها:

إنَّ الـربـيـعَ وإنّ الـفـضـلَ قـد بَـنَـيـا	رِواقَ مـجـدٍ عـلـى الـعـبّـاسِ مـمـدودِ

يصعب علينا أن نستشفَّ مدى صدق سلم من خلال شعره، ولكن يكفي أن

(١) الفضل بن الربيع (١٣٨هـ/ ٧٥٥م ـ ٢٠٨هـ/ ٨٢٤م).
استحجبه المنصور لمّا ولّيَ أباه الوزارة، فلّما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان من كبار خصومهم، حتّى ضربهم الرشيد تلك الضربة، وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. وهو من أحفاد أبي فروة (كيسان) مولى عثمان بن عفان (رض) (الزركلي: أعلام، ٥/ ٣٥٣).

(٢) جاء في الأغاني أنّ المنصور قال للربيع يوماً: رأيت كأن الكعبة تصدّعت وكأنّ رجلاً جاء بحبل أسود فشدّدها، فقال له الربيع: من الرجل؟ فلم يجبه، حتى إذا اعتلّ قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيته في منامي شدّد الكعبة، فأي شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنتُ أعمل في حياتك! فكان من أمره في أخذ البيعة ما كان (الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٣).

(٣) ق/ ١٦ (الديوان).

نعلم أنّ الفضل قد وهبه خمسة آلاف دينار، تقديراً له على تلك القصيدة التي سجّلت مجده ومجد أبيه في إطار مجد بني العبّاس[1].

سلم وعاصم بن عُتبة:

كان عاصم صديقاً لسلم الخاسر، كثيرَ البِرّ به والملاطفة له[2]، وقد مدحه سلم بقصيدة قال فيها:

الجودُ في قحطانِ ... ما بقيتْ غسّانُ

مَنْ غالَهُ مخوفٌ ... فعاصِمٌ أمانُ

ويقال: إنّ هذه القصيدة كانت سبعين بيتاً، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم. وتذكر بعض الأخبار أنّ مبلغ ما وصل إلى سلم من عاصم كان خمسمائة ألف درهم، فلمّا حضرته الوفاة أعادها إليه[3].

وقد حسد يزيد بن مزيد عاصماً قائلاً: ما حسدتُ أحداً قطّ على شعر مُدح به إلّا عاصم بن عُتبة الغسّاني، فإنّي قد حسدته على قول سلم الخاسر فيه[4]:

لعاصمٍ سماءُ ... عارضُها تَهتانُ

أمطارُها اللُّجَيْنُ ... والدُّرُّ والعِقْيانُ

إلى أن يقول:

صلْتٌ لَهُ المَعالي ... والسَّيفُ والسِّنانُ

وليس غريباً أن يحُسد عاصم على هذا المديح، فقد جعلت هذه القصيدة الجود والكرم في غسّان قحطان، كما جعلت من عاصمٍ الحِمى والأمان.

سلم والبرامكة

سلم والفضل بن يحيى[5]:

وُلد الفضلُ قبل مولد الرشيد بأيّام قليلة، فأرضعته الخَيْزُران أمّ الرشيد، فكان أخاً له في الرضاعة[6]؛ وبذلك يقول سلم الخاسر[7]:

أصبحَ الفضلُ والخليفةُ هرو ... نُ رَضِيعَيْ لبانِ خيرِ النساءِ

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٣.

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢١

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢١.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٢.

(٥) الفضل بن يحيى (١٤٨هـ/ ٧٦٥م - ١٩٣هـ/ ٨٠٨م).
وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاعة. كان أجود الناس، استوزره الرشيد مدة قصيرة، وولّاه خراسان ١٧٨هـ، وحسنت سيرته فيها، إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة ١٨٧هـ(الزركلي: أعلام، ٥/ ٣٥٨).

(٦) أبو الفداء: تاريخ، ٢/ ٣.

(٧) ابن الأثير: الكامل، ٥/ ٢٦.

توثّقت الروابط بين سلم والفضل، وكَثُرت مدائحه فيه، وكثر إحسانُ الفضلِ إليه حتّى كاد ينقطع له، مما دعا أبو العتاهية إلى القول[1]:

إنّـمـا الـفـضـلُ لـسـلـمٍ وحـدهُ ... لـيـسَ فـيـهِ لـسـوَى سـلـمٍ دَرك

ويبدو أنّ إعجاب الفضل بسلم كان كبيراً، لدرجة أنّه أطلق عليه لقب (الرابح) بدل (الخاسر). فقد دخل عليه أحدهم، فقال له الفضل: من القائل:

سأُرسلُ بيتاً قد وسمتُ جبينهُ ... يُقطّعُ أعناقَ البيوتِ الشّوارِدِ

أقامَ النّدى والجودُ في كلّ منزلٍ ... أقامَ بهِ الفضلُ بنُ يحيى بنُ خالِد

فقال: سلم الخاسر، فقال الفضل: لا تسمه خاسراً، وسمّه سلماً الرابح، وأمر له بألف دينار[2]:

الندى والجود رفيقا الفضل أنّى نزل وأيّان ارتحل، وما على سلم إلّا أن يتبعه، لينال من كرمه وعطائه. وليس غريباً أن ينقطع له، فقد أغناه عن الآخرين، فهو يقضي حاجات السائلين دون تردّد أو إبطاء.

كان الفضل رجلاً جواداً فاضلاً، لا يبخل بشيء وإن غلا، خاصّة إذا كان العطاء للشعراء. فقد دخل عليه سلم في يوم نَيْروز[3]، والهدايا بين يديه، فأنشده إحدى قصائده التي مطلعها[4]:

أَمِـنْ رَبْـعٍ تُـسـائِـلُـهُ ... وقـد أَقْـوَتْ مـنـازِلُـهُ

والتي يقول فيها:

ولـسـتُ أرَى فـتـىً فـي الـنّـا ... سِ إلّا الـفـضـلُ فـاضِـلُـهُ

ويروي صاحب الأغاني: أنّ إبراهيم المَوْصلي وابنه إسحاق كانا حاضرين، فقال لإبراهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسن مرئيٍّ ومسموع وفضل الأمير أكبر منه. فقال: خذوا جميع ما أُهدي إليّ اليوم فاقتسموه بينكم ثلاثاً إلّا ذلك التمثال، فإنّي أريد أن أهديه إلى دنانير، ثم قال: لا والله، ما هكذا تفعل الأحرار، يُقوّم ويُدفع ثمنه، ثم نهديه، فقوّم بألفي دينار، فحملها إلى القوم من بيت ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم[5].

---

(١) الجهشياري: الكتّاب والوزراء، ص٢٠٤. (٢) الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص٢٠٤.

(٣) نَيروز: أوّل يوم من أيّام السنة الشمسية عند الفرس.

(٤) ق/ ٥٠ (الديوان).

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٨. دنانير (٠٠٠ ـ ٢١٠هـ/ ٨٢٥م). مغنيّة نسب إليها كتاب في الأغاني. كانت مولاة لرجل من أهل المدينة، خرّجها وأدّبها، واشتراها منه يحيى البرمكي. فنبغت في بيته (الزركلي: أعلام، ٣/ ٢١).

وكان سلم قد مدح البرامكة[1] جميعاً، من خلال مديحه للفضل. فهم البحور بكرمهم، وهم الأمراء منذ نشأتهم والوزراء في همّتهم. قال يمدح الفضل[2]:

وكيفَ تخافُ من بُؤسٍ بدارٍ   تكنفها البرامكةُ البحورُ

ويقول فيها:

إذا ما البرمكيُّ غدا ابن عشرٍ   فهِمّتُهُ وزيرٌ أو أميرُ

لم يُكتب لسلم أن يعيش ليشهد النهاية المفجعة التي حلّت بهؤلاء الأكارم، الذين أغدقوا عليه وأحسنوا إليه، فعاش في كَنَفهم ميسور الحال، مكرّم الوِفادة، عزيز الجانب.

فما هي إلّا شهور قليلة بعد وفاة سلم حتّى عبس الدهر لهم بعد أن ابتسم، فكانت غضبة الرشيد التي مزّقتهم، وأنهت وجردهم على مسرح الحياة العباسية.

يقول المسعودي في سرده لنهاية دولتهم[3]: «وكانت دولة البرامكة وسلطانهم وأيّامهم النضرة الحسنة بين استخلاف هارون الرشيد إلى قتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، وقد رثتهم الشعراء مثل أشجع السُلمي ودِعبل والنَّمري، ويضيف قائلاً: إنّ سلم الخاسر رثاهم بقوله:

خَوَتْ أنجمٌ كانت لأبناءِ برمكٍ   وغاضَتْ بحورُ الجود بعدَ البرامكِ

هَوَتْ أنجمٌ كانت لأبناءِ بَرْمكٍ   بها يعرفُ الهادِي قويمَ المَسالكِ

وهذا التفجّع على دولة البرامكة ظاهرُ النحلِ كما لاحظ غرونباوم[4]، لأنّه ـ كما أشرنا أعلاه ـ لم يدرك تلك النهاية التي نزلت بهم ١٨٧هـ/ ٨٠٢م. وقد نسب الطبري هذين البيتين لسيف بن إبراهيم[5]، ولعلّه الصواب.

سلم ويحيى بن خالد[6]:

عرف سلم أبواب القصر، كما أدرك ما للبرامكة من قوّة ونفوذ داخله، أو هي

---

(١) البرامكة أسرة فارسية متحدّرة من أسرة كهنوت من عَبَدة النار من أهل خراسان. وقد شهروا بالكرم حتّى ضرب بهم المثل بالآفاق. اتصل هؤلاء البرامكة بالدولة العباسية منذ تأسيسها، وصاروا من المقرّبين إلى الخلفاء. ولمّا تجاوزوا الحدود كانت نكبتهم على يد من قرّبهم وأدناهم، فكان نصيب كبرائهم القتل أو السجن أو الفرار. وقد رثتهم الشعراء وأسفت عليهم الناس مدة طويلة (دائرة المعارف، ج/ ٥، ص٢٦٧).

(٢) ق/ ٢٠ (الديوان).   (٣) المسعودي: مروج، ٣/ ٣٩٠.

(٤) غرونباوم: شعراء عباسيون، ص١٠٨.   (٥) الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٩٥.

(٦) يحيى بن خالد (١٢٠هـ/ ٧٣٨م ـ ١٩٠هـ/ ٨٠٧م).

هو سيّد بني برمك وأفضلهم، وهو مؤدّب الرشيد العباسي ومعلّمه ومربّيه. رضع الرشيد من زوجة

شيمة المتكسّبين من الشعراء، يلجون الأبواب ويسألون أصحاب الثراء، لينالوا فتات موائد الكرام.

كان اتصاله بيحيى مبكراً، مدحه وهو ما يزال شاباً في مُقتبل العمر، يصرف بلا حساب، ويعطي قبل السؤال، هذا ما وجده سلم عنده، حيث يقول في إحدى قصائده[١]:

أعطاكَ قبلَ سؤالِه فكفاكَ مكروهَ السّؤالِ

ما زالت لديه بقيّة باقية من عزّة النفس، فهو يريد أنْ يُعطى من غير أن يسأل!

لا شكّ أنّ سلماً قد بلغ القمّة في رائيته الرائعة التي مدح بها يحيى ونال عليها مالاً كثيراً. ويقال: إنّه من عمل بما في تلك الأبيات جاز أن يكون وزيراً[٢]. فهو يرى أنّ بقاء الدين والدنيا مرتبط ببقاء الخليفة والوزير؛ وبذلك يربط مصير الخلافة بالوزير البرمكي، لا بل إنّ حمى الإسلام مرهونٌ بغَيْرة يحيى على هذا الدين، فكأنما يبغي تقديمه عل الخليفة نفسه، لأنه خبير بكلّ الناس من عرب وعجم، وهو يدرك صغائر الأمور وكبائرها، ظواهرها وبواطنها، ثم يعود ليقول[٣]:

لنا مَلِكٌ نَعَمْ ووزيرُ مُلْك عليهِ مِن لباسِ الشّيب نورُ

وينصح الخليفة للتمسك بهذا الوزير:

وأجزلُ ما يكونُ الدُّهر رأياً إذا عَمِيَ المُشاوِرُ والمُشِيرُ
ولا غرس الأمور ولا اجتناها كيحيى حين يعزمُ أو يسيرُ

لم يكن دور سلم يقتصر على المديح إذن! فقد كان يحشر أنفه في مسائلَ ذات علاقةٍ بالحكم؛ وذلك حين يبدي رأيه بالصفات التي يجب أن يتحلىّ بها الوزير؛ ثم يشير إلى أنّ يحيى بهذا المنصب جدير وقدير، لأنه يتمتّع بهذه المزايا، يكلّلها الصدّق في المشورة والإخلاص لهذا الدين.

سلم والخلفاء

إنهارَ حكم بني أميّة بعد المواجهة العسكرية الحاسمة، وهزيمة جندهم أمام

يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه يا أبي! وأمره المهدي سنة ١٦٣هـ، وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره، أن يلازمه ويكون كاتباً له. اشتهر بجوده وإكرامه للشعراء، وحسن سياسة، واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة، قبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات، فقال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم (الزركلي: أعلام ٩/ ١٧٥).

(١) ق/ ٤٨ (الديوان).

(٢) ابن المعتز: طبقات، ص١٠١.

(٣) ق/ ٢١ (الديوان).

عساكر أبي مسلم الخراساني في معركة الزاب الكبرى[١]؛ وبذلك انتقلت الخلافة الإسلامية إلى العباسيين. وكان أوّلهم أبو العباس الذي لم يُتح له أن يحكم طويلاً؛ فخلفه أخوه المنصور الذي واجه مقاومة عنيفة من العلويين. لكنّه تمكّن في النهاية من إخضاعهم والقضاء على ثوراتهم الواحدة تلو الأخرى. ثمّ عكف على بناء الدولة الفتية بمفاهيم جديدة وعلى أسس مدنيّة مستحدثة.

كان من أوائل أعماله وأبرزها بناء مدينة بغداد عاصمة للدولة الإسلامية. وقد اعتمد في بنائها على تخطيط المدن الفارسية الكِسرْوية، وأنشأ فيها شبكة من القنوات والجسور والمنشآت الجميلة الأخرى، وأطلق على عاصمته الجديدة اسم (دار السلام). ولكنّ اسمها القديم ظل شائعاً على ألسنة الناس[٢].

هذا الخليفة يُعتبر المؤسّس الحقيقي للدولة العباسية، إذ كان رجل عمل وبناء، قائد أمّة ورجل دولة. هذه المهمات الجسيمة لم تفسح له مجالاً للهو وتقريب الشعراء وسماع إنشادهم، كما أصبحت الحال في عهد الخلفاء الذين جاؤوا بعده.

لم تتحدر إلينا من الأخبار ما يشير إلى اتصال سلم الخاسر بالخليفة المنصور، والمرجح أنه لم يتمكّن من الوصول إلى القصر في عهده.

ولكن ما إن توفّاه الله، حتى سارع إلى رثائه بقصيدة، ما وصل إلينا منها يصلح أن يكون سجلاً تاريخياً لشخصية المنصور الفذّة. فبعد التفجع عليه يقول:

حينَ دانتْ لهُ البلادُ على العَسْفِ	وأَغْضَى مِن خوفِهِ الثَّقَلان
أينَ ربُّ الزَّوْراءِ قد قلَّدَتْهُ الـ	ـمُلْكَ عشرونَ حجّة واثنتانِ

ثم يصوّره بالحزم النافذ الذي لا ينثني، والصلابة الصادقة التي لا يهزّها ذوو الإدهان؛ فكان من قدرته أن قاد أعداءه بغير عنان، وأرهب المنافقين، فإذا أيديهم على أذقانهم خشية سطوته. وهكذا ضمّ أطارف الملك الشاسع، حتّى أصبح خلف القاصي ودون الداني.

لقد وصف المنصور بما يستحقّ أن يوصف به، ولكن هذا الرثاء لم يكن إلّا مقدّمة للتقرّب من عتبات القصر؛ لذلك نراه يردّ مزايا المنصور إلى هاشميّته الأصيلة، عندما يقول[٣]:

هاشِميُّ التشميرِ لا يحملُ الثِّقْـ	ـلَ على غاربِ الشَّرُودِ الهِدانِ

(١) الزاب: اسم موقع لفرعين من نهر دجلة، يتصلان من الضفة اليسرى.

(٢) بروكلمن: تاريخ الشعوب الإسلامية، ٢/٦ وما بعدها.

(٣) ق/ ٦٣ (الديوان).

سلم والمهدي:

بعد وفاة أبي جعفر المنصور انتقلت الخلافة إلى ولده المهدي. وكان والده قد خلّف له دولة شاسعة الأطراف، تتدفّق خيراتها على بغداد من جميع النواحي والأمصار، كما ترك له خزانة عامرة بالأموال؛ وبذلك تهيّأت له أسبابُ الرفاهية والإسراف. فقرّب إليه الشعراء وأغدق عليهم الهِبات، فكَثُرت مدائحهم فيه وتوالت عطاياه لهم.

كان المهديُّ رجلَ دولةٍ أيضاً، إذ لم يمنعه لهوه المعتدل من القيام بأعباء الخلافة وشؤون الحكم. وقد شُهر عهده بتعقّب الزنادقة والتشدّد في ملاحقتهم[1].

أمّا سلم الخاسر فقد كان اتصاله بالمهدي منذ تسلّمه زمام الحكم والسلطان؛ فهو يرى أنّ حقّه في الإمامة أمر لا نزاع فيه، ولا يملك أحد ردّه. هكذا يقول الشاعر، صدقاً أم كذباً، فذلك أمر آخر، يكفي أن يكون كما يقول سلم[2]:

لَـه شِيـمـةٌ عـنـدَ بـذلِ الـعـطـا ... ءِ لا يـعـرفُ الـنّـاسُ مِـقـدارَهـا

لا شكّ أن عامة الناس لا يعرفون مقدارها، فهي مقصورة على أمثاله من المتكسّبين؛ ويكفي أن نعلم أنّ المهدي أمر له بخمسمائة ألف درهم، ثمناً لتلك القصيدة، على ذمّة صاحب الأغاني[3]!

ولكن لا نستطيع تجاهل تأييد سلم لهذا الخليفة وإظهار حقه في الخلافة. فهو أمير المؤمنين، وهو خير الأنام، حيث السماحةُ والشجاعة إلى جانب أهليّة الحكم، وهو ذو رأي أمضى من السيف الحسام؛ فإذا قضى بين الناس فإنّه الحازم العادل؛ هذا ما تقوله قريش العرب وهم الكرام بنو الكرام. ثمّ يذهب إلى أبعد من هذا، حين يرى أنّه خير من وَطِىء الحصى ـ شِيباً وشبّانا. وأخيراً يصل قمّة التملّق في مديحه فيقول[4]:

فـضـلَ الـمـلـوكَ مـحـمّـدٌ ... فـضـلَ الـحـلالِ عـلـى الـحـرامِ

ولكنّه لا يلبث أن يكشف عن خبيئة نفسه وغاية مدحه حين يقول:

أمِـنَ الـحـوادثَ مَـن تَـعـلّـق ... ذِمّـةَ الـمـلـكِ الـهُـمَـامِ

حـوضُ الـخـلـيـفـةِ بـالـنّـدى ... يـشـفـي الـغـلـيـلَ مِـنَ الأوامِ

ثمّ لا يمضي وقت طويل حتى يصل إلى مسامع المهدي أنّ سلماً على صلة

---

(١) بروكلمن: تاريخ الشعوب الإسلامية، ٢/ ١٥.

(٢) ق/ ٣٣ (الديوان).

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٤.

(٤) ق/ ٥٦ (الديوان).

بالعلويين، وأنّه مدح بعضهم. فغضب عليه وتوعدّه، وعزم على تصفيته[١]. فأخذ سلم ينفي التهمة عن نفسه، ويعتذر له على طريقة النابغة الذبياني في اعتذاره للنعمان؛ فإذا بأحشائه تضطرب من شدّة الخوف، ويحلف يميناً غيرَ كاذبةٍ، أنّها فِرْية مفترٍ وحسدُ حاسد، إذ لا يعقل أن يمدح سواه، ولا عِدْل له عنده. ولا ينسى أن يذكّره بأنّه القادر عليه، ولا يستطيع الإِفلات من قبضته، ولو ملك عنان الريح وتصريفها. وأخيراً يتوسّل إليه قائلاً[٢]:

مولاكَ مولاكَ لا تُشْمِتْ أَعادِيَهُ   فما وراءَكَ لي ذِكْرٌ ولا نَسَبُ

ويخبرنا صاحب الأغاني أنّ المهدي عفا عنه بعد اعتذاره[٣]. ولكن عفوه عنه لا يعني أنّه اطمأنّ إليه أو وثق به.

سلم والهادي:

ما وصل إلينا من شعر سلم الخاسر، كان نصيب الهادي منه أوفر بكثير من الخلفاء الآخرين الذين عاش في كنفهم وتمسّح على عَتَباتهم، ونال من فُتات موائدهم طَوال سنوات عديدة. علماً أنّ مدّة خلافته كانت قصيرة جداً، إذ لم تتجاوز سنة وثلاثة أشهر. ولكن هذه الظاهرة يمكن ردّها إلى ضياع شعر سلم الذي سنعرض له في أثناء الحديث عن شعره.

كانت صلة سلم قد توطّدت بالقصر العباسي منذ أيّام المهدي، وكانت هذه العلاقة قد تعرّضت للانتكاس بعد اتهامه بالميل إلى العلوية. ولكنّ شاعرنا يحُسن انتهاز المناسبات واستغلال الفرص. فقد أتى نبأ وفاة المهدي لموسى الهادي وهو بجرجان، فبويع له هناك. وحين عاد إلى عاصمته دخل عليه سلم مع المهنّئين، وأنشده القصيدة التي مطلعها[٤]:

لمّا أتتْ خيرَ بني هاشمٍ   خلافةُ اللهِ بجُرْجانِ

ويقول فيها:

أسرعَ في الأرضِ وقد حازَها   إسراعَ ذِي الريحِ سُليمانِ[٥]

وقد تعرّض الثعالبي لهذا المعنى فقال: «لا يُعرف خليفة ركب البريد قطّ سوى الهادي، فإنّه كان غائباً بجرجان. فلمّا مات المهدي كتب إليه الرشيد بالخبر والبيعة، ووجّه مع الرسول الخاتم والقضيب والبُرْدة. فلماً بلغ جرجان في ثمانية أيام، وافى

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٩.
(٢) ق/ ٥ (الديوان).
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٩.
(٤) ق/ ٦١ (الديوان).
(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ سورة ص آية/ ٣٦.

موسى بغداد على البريد بعد ثلاثة عشر يوماً من موت المهدي، فقال سلم الخاسر قصيدته»[1].

ولعلّ ما يلفت النظر في هذه القصيدة أنّ سلماً يمتدح الخليفة بقوله:

لم يُدخلِ الشُّورَى على رأيهِ ... والحزمُ لا يُمضيهِ رَأيانِ

صحيح أنّ الحزم من الخصائص الطيّبة التي يجب أن يتحلّى بها رجل الدولة والحكم. ولكنّ الحزم لا يعني إهمال آراء الآخرين ومشورتهم؛ بل العكس هو الصواب، إذ الحزم يقتضي إدخال الشورى في الحكم. كما لا ننسى قاعدة الحكم في الإسلام التي تقوم على الشورى، لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[2]. وقوله أيضاً: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾[3]. فما هذا المفهوم الذي يطرحه هذا الشاعر ويشجّع عليه!

وسلم يمدح ليتكسّب، ولا يتورّع عن التلميح بطلبه دونما إبطاء، فها هو يهنىء الهادي عند تولّيه الخلافة، وفي الوقت نفسه يذكّره بوالده أمير المؤمنين الذي عمّ البريّة نفعه. فكأنّما يحثّه ليسير على منوال الراحل الكريم[4]!.

وعندما يطرق مسامعه أنّ الهادي يشتهي سماع قصيدة ابن قيس الرّقيّات التي مطلعها:

عادَ لهُ مِنْ كثيرةَ الطرَبُ ... فعينُهُ بالدموعِ تنسكبُ

وأنّه يستحسن رويّها، ويجب أن يُمدح بمثلها؛ فإذا به يمدحه بقصيدةٍ مشابهة يرجوه فيها أن يناله بعطائه وكرمه[5]. وهو صريح في طلبه، ولا يجد حرجاً في نفسه من ذلك. فقد وصله الهادي بثلاث مائة ألف درهم وقال: «إنّما وفرت صلته للبيت الأخير[6]» والذي يقول فيه:

لولا هُداكم وفضلُ أوّلكم ... لم تدرِ ما أصلُ دِينها العربُ

كان الهادي رجلاً كريماً معطاء، ويبدو أنّه أعطاه فأرضاه، حتى قال فيه[7]:

أَلا ترى أمّة الأُمّيِّ واردةً ... كأنّها مِن نواحي البحرِ تغترفُ

مِن راحتيْ مَلِكٍ قد عمَّ نائِلُه ... كأنّ نائلَهُ مِن جُودهِ سَرَفُ

وممّا يستحسن لسلم في الهادي إحدى قصائده التي يسير فيها على أسلوب القدماء من الشعراء، فيسأل الديار وأطلالها والمنازل المقفرة من أهاليها، ويعمد بعد

---

(1) الثعالبي: لطائف المعارف، ص١٣٠

(2) آل عمران، آية/ ١٥٩.

(3) الشورى، آية/ ٣٨.

(4) ق/ ٤٠ (الديوان).

(5) ق/ ٦ (الديوان).

(6) الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص١٧٩.

(7) ق/ ٤٠ (الديوان).

ذلك إلى وصف الخمرة وكؤوسها، ثمّ يتباهى بالمنزلة الرفيعة التي وصل إليها في قصور بني العباس، حيث يقول[١]:

وكم قد رفعتُ ستورَ الملوكِ ... وزاولتُ بالشعرِ أزْوَالها
ونلتُ مجالسَ مشهورةً ... يُنالُ الكرامُ بِمَنْ نالَها

فهو قد تجاوز العَتَبات، إلى رفع ستور حجرات المنازل، فمجالسة ساكنيها، شأنه في ذلك شأن الكرام من الناس. ولكنّه مِلحاح في طلبه، فلا ينسى أن يذكّره بالعطاء عندما يقول:

وموسَى شبيهُ أبي جعفرٍ ... ومُعطِي الرغائبَ سُؤّالها

لم تكن الحِقبة التي قضاها الهادي في الحكم طويلة، ولو قدّر الله له أن يعيش طويلاً، لجادت قريحة سلم بالكثير من الروائع الشعرية، سعياً وراء التكسّب من بحر لا يعرف إلّا العطاء.

سلم والرشيد:

كان الرشيد أثيراً عند أمّة الخَيْزُرَان، وحينما حاول الهادي أن يُكره أخاه الرشيد على التنازل عن ولاية العهد لمصلحة ولده، ثارت ثائرتها وعملت على تصفيته داخل القصر، وبذلك انتقلت الخلافة إلى ولدها الرشيد.

عهد الرشيد إلى وزرائه تصريفَ شؤون الدولة في أوّل الأمر، وسلّم مقاليد الأمور ليحيى البرمكي ولديه الفضل وجعفر، الذين حكموا وتحكّموا في البلاد طولاً وعرضاً دونما رقيب أو منازع، سوى رقابة الخيزران التي كانت عيْناً ساهرة على كلّ ما يجري في القصر وحوله. ولكن لم تكد أمّ الخليفة تقضي نحبها سنة ١٧٣هـ/ ٧٩٠م، حتى انتزع الرشيد بعض المسؤوليات من جعفر البرمكي، ونقلها إلى الفضل بن الربيع. ورغم هذا التبديل فإن نفوذ البرامكة استمرّ في التصاعد إلى أن جاءت نكبتهم على يد الرشيد نفسه[٢].

أصبح سلم من شعراء القصر وروّاده، خبيراً بأهله، جريئاً في طلبه. فقد عرف ـ بخبرته ـ أنّ المديح يُدغدغ مشاعر أصحاب الجاه والسلطان ويُرضي شهواتهم؛ كما أنّ عطاء هؤلاء الأمراء يحقّق غايته ويُشبع شهوته إلى المال. وسلم لا يُفوّت فرصة دون أن يؤدّي واجبه ويقبض ثمن أتعابه! فما أن وَليَ الرشيد الخلافة حتى هنّأه بمنصبه، معلناً أنّ المُلْك استقرّ عند أهله، وأنّ الدنيا أشرقت

---

(١) ق/ ٥٤ (الديوان).

(٢) بروكلمن: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ١٨ ـ ٢٠.

بأنوارها لاستقباله، ولا ينسى أن يذكر الكرم والمكارم وأنّ هارون أميرها[١].

إنّ هذا الخاسر يبيع قصائده كما تُباع السلعة عند بائعها، وإذا ما أبطأ الشاري في دفع الثمن، لا يتحرّج عن مطالبته، ولو كان الخليفة نفسه.

كان سلم قد رَثى المهدي عند وفاته، فوعده الرشيد عليها بمائة ألف درهم، فأبطأت عليه فكتب إلى الرشيد يذكّره بجائزته ويستنجزه وعده، وهو لا يستكثر الثمن حين يقول[٢]:

أرى المِائة ألفاً صادقاً وُعِدْتُها ... لمرثِيةِ المهدي غيرَ كثيرِ
ولو غيرُ هارونٍ يجودُ بوعدها ... لما عُجْتُ مِن موعودِه بنقيرِ

ويحثّه على الدفع بقوله[٣]:

شبيهُ أبيهِ في السّماحةِ والنّدى ... فإن قال لم يأخذ بجبلِ غرورِ

وما دام سلم هو من شعراء المناسبات، فأية مناسبة أجدر بالتهنئة حين جعل الرشيدُ ولدهُ الأمين ولياً للعهد؛ فهو يرى بهذا الاختيار بادرة خيرٍ لهذه الأمة، خاصة أنّه ابن الخلائف أباً وجدّاً. ولم تكن هذه البيعة عملاً فردياً من خليفة المسلمين؛ بل الإنس والجنّ تبارك وتبايع مهدي الهدى. ويقال إنّ زُبَيْدة أعطته مائة ألف درهم[٤]. أمّا البغدادي فيقول إنّها حشت فاه درّاً باعه بعشرين ألف دينار[٥]، وذلك في قوله[٦]:

قد بايعَ الثقلانِ في مهدِ الهُدى ... لمحمَد بنِ زبيدةَ ابنةِ جعفرِ
وليّتَهُ عهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ ... فدمغتَ بالمعروفِ رأسَ المنكرِ

هل كان سلم صادقاً ومخلصاً في تأييده لتلك البيعة؟! لا نظنّ ذلك، لكنّها الدراهم والدنانير هي التي تخلبه بزينتها، وتحرّك الطمع في نفسه، فيقول شعراً ويقبض مالاً!

لم يمضِ وقت طويل حتى أُخذت البيعة للمأمون بولاية العهد بعد الأمين، ففاضت شاعريته بلاميّة يتألّق فيها بهذه الخطوة الميمونة. فالمأمون صاحب عقلٍ راجحٍ وخلقٍ فاضل. هكذا يصوّره في القصيدة التي يقول فيها[٧]:

فتمّ بالمأمونِ نورُ الهُدَى ... وانكشفَ الجهلُ عنِ الجاهلِ

ويسجّل لنا سلم مدى اعتماد الرشيد عل البرامكة، وعلى الفضل ابن يحيى من

---

(١) ق/ ٣٤ (الديوان).
(٢) البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٨.
(٣) ق/ ٣١ (الديوان).
(٤) الأصفهاني: الأغاني: ١٩/ ٢٣٤.
(٥) البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٨.
(٦) ق/ ٣٠ (الديوان).
(٧) ق/ ٤٩ (الديوان).

بينهم، إذ يروي لنا صاحب الأغاني: «أنّه حدث في أيّام الرشيد أمر فاحْتِيجَ فيه الرأي، فأشكل وكان الفضل بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصّة، فأشار بالرأي في وقته وأنفذ الأمر على مشورته، فحُمد ما جرى فيه، فدخل سلم الخاسر عليه فأنشده:

بديهته وفكرتُه سَواءٌ ... إذا ما نابهُ الخطبُ الكبيرُ

وأحزمُ ما يكونُ الدهرَ رأياً ... إذا عَمِيَ المُشاوِرُ والمشيرُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم[1].

وهكذا، يبدو لنا أنّ سلماً لم يكن نكرةً بين الشعراء، بل كان من المقدّمين فيهم، إذ استطاع أن يشقّ طريقه من القادة والولاة إلى الحجّاب والوزراء، حتّى وصل إلى قمّة مجده وأصبح من شعراء الخليفة والقصر. وعاش حياة الرفاهية والترف والإسراف، فكان يأتي باب المهدي على البِرذَوْن الفارِه، قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام مُفَضَّضَيْن، ولباسه الخِزّ والوَشْيُ وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المسكُ والطيب تفوح منه[2].

سلم وشعراء عصره

لكي تكتمل عناصر شخصية سلم في أذهاننا، لا بدّ من التعرّض لجميع المؤثّرات التي لعبت دوراً بارزاً في حياته وساهمت في تكوين شخصيته. فقد كان الشعراء الذين عاصرهم وجالسهم واحتكّ بهم من العوامل الهامّة التي تركت أثراً واضحاً في شعره، فكان مقلّداً لبعضهم ومتكافئاً مع آخرين منهم.

سلم وبشّار:

قبل الخوض في الحديث عن العَلاقة بينهما، يُستحسن التعرّف إلى أبرز معالم شخصية بشّار، لأنّ هذا الشاعر ترك أثراً بعيداً في سلم؛ وذلك لتلمذته على يديه، وقضائه شطراً من حياته تحت جناحه وفي فِناء عبقريّته الفَذّة وبحره الشعري الزاخر[3].

بشّار رأس المولّدين دون منازع وإمام المُحْدَثين بإجماع الرواة. لم ينازعه في ذلك أحد من الشعراء، ولا تقدّم عليه طامحٌ منهم. وهو من مخضرمي الدولتين - الأموية والعباسية؛ وشُهرَ فيهما ومدح وهجا، وأخذ سنيَّ الجوائز[4].

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٩.
(2) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٦.
(3) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٤.
(4) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٢٩.

كان بشّار مولى، معتزّاً بعُجْمته، يفاخر فيها متباهياً[1]. وقد اختلف في أمر عقيدته، فمن قائل بزندقته ومروقه من الدين[2]، ومن قائل أنّه كان صحيح الدين والعقيدة[3].

كانت علاقة سلم مع بشّار علاقة التلميذِ بأستاذه، يحترمه ويجلّه، إلى أن حصل ما عكّر صفوها وكاد يقطعُ وشائجها، لولا إخلاصُ التلميذِ لأستاذه وتقديره لفضله عليه.

أمّا سبب الخلاف فمردّه إلى أنّ بشاراً لمّا قال بيته:

مَنْ راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجتِه وفازَ بالطّيبات الفاتِكُ اللّهِجُ

كان مُعجباً به أشدّ الإعجاب، وكان يردّده في خَلَوَاته ويقول: «ما سبقني أحدٌ إلى هذا المعنى، ولا يأتي بمثله أحد». ثم إنّ سلماً أخذ هذا المعنى وسبكه بقالَبٍ أبلغ كلاماً وأوجز لفظاً حين يقول[4]:

مَن راقبَ الناسَ مات غمّاً وفاز باللّذهِ الجسورُ

فسار بيتُ سلم وخمل بيتُ بشّار، فاستشاط بشّار غضباً وأقسم ألّا يفيده ما دام حيّاً. ثم جرت محاولة لإصلاح ذات البَينْ بينهما، فجاءه سلم واعتذر إليه واستشفع بكلّ غالٍ، ولم يرضَ عنه إلّا بعد أن عنّفه وضربه وشفى غليل نفسه منه[5].

ورغم هذا الخلاف العابر فقد بقي سلم على وفائه لأستاذه، لا ينكر له فضلاً ولا يتعالى عليه مقاماً؛ بل كان يعتزّ بتلمذته على يديه ويرفع مقامه. هذا ما صدر عنه عندما اتُّهم في حضرة الرشيد بأنه سرق شعر بشّار، فقد قال: «وهل أنا إلا جزءٌ من محاسن بشّار، وهل أنطق إلّا بفضل منطقه. وحياتِكَ يا سيّدي إنّي لأروي له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحدٌ غيري منها شيئاً»[6].

سلم وأبو العتاهية:

ذكرنا ـ فيما سلف ـ أنّ أبا العتاهية كان من أصدقاء سلم الخاسر وأصفيائه.

---

(١) سأله المهدي مرة: فيمن تعتد يا بشار، فقال: أمّا اللسان والزيّ فعربي، وأمّا الأصل فأعجمي كما قلت في شعري:

ونُبّئتُ قوماً بهم جِنّةٌ يقولون مَن ذا وكنتُ العَلَم
نمَتْ في الكرام بني عامرٍ فروعي وأصلي قريشُ العجم

(الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٣١).

(٢) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٣٩.

(٣) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٠.

(٤) ق/ ٢٤ (الديوان).

(٥) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٠. الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٧.

(٦) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٢.

وعندما حصل التباعد بين سلم وبشّار كان سلم يقدّم أبا العتاهية ويقول: «هو أشعر الإنس والجنّ[1]». ثم فسد ما بينهما، وذلك أنّ سلماً كان منقطعاً إلى البرامكة، وإلى الفضل بن يحيى من بينهم، فحسده أبو العتاهية على هذه المكانة وقال:

إنّما الفضلُ لسلمٍ وحدَه ... ليس فيه لسوى سلمٍ دَرَك

فكان هذا أحد الأسباب إلى فساد ما بينهما[2]. ثم حدث ما أجّج نار الخلاف ووسّع الرّتق حتى صَعُب إصلاحه، وكان ذلك حينما أخذ أبو العتاهية يخاطب سلماً ويتهمه بالحرص وعدم الإنفاق قائلاً:

تعالى الله يا سلمُ بن عمرٍو ... أذَلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

هبِ الدنيا تصيرُ إليكَ عفواً ... أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى زوالِ!

وقد بلغ هذا الشعر الرشيد فاستحسنه. فثارت ثائرة سلم وغضب على أبي العتاهية حتى قال: «ويلي على الجرّار ابن الفاعلة الزّنديق، زعم أنّي حريص وقد كنز البُدور وهو يطلب، وأنا في ثوبيّ هذين لا أملك غيرهما[3]» وكتب إليه يعنّفه[4]:

ما أقبحَ التزهيدَ مِن واعظٍ ... يُزهِّدُ الناسَ ولا يزهدُ!

لو كان في تزهيدِه صادقاً ... أَضحى وأمسى بيتَهُ المسجدُ!

ولكن أبا العتاهية كان أكثر وفاء وأحفظ للعهد منه، فلم يقابله بالمثل، بل تركه بعُجْبه وكبريائه، شأن الصديق الذي يحفظ الودّ ولا تجرفه الانفعالات العابرة[5].

سلم ومروان بن أبي حفصة:

كان مروان من المقدّمين عند المهدي، وقد انهالت عطاياه عليه. ولمّا وَلِيَ الرشيد الخلافة أمر لسلم ـ وقد مدحه ـ بسبعين ألف درهم، فقال له: «يا أمير المؤمنين، إنّ أكثر ما أعطي المهدي مروان سبعين ألف درهم، فزدني وفضّلني عليه، ففعل ذلك وأعطاه تتمّة ثمانين ألف درهم[6]». فقال سلم يتحدّى مروان:

ألا قلْ لمروانٍ أتتكَ رسالةٌ ... لها نبأٌ لا ينثني عن لِقائكا

حبَاني أميرُ المؤمنينَ بنفحةٍ ... مُشَهَّرةٍ قد طَأطَأَت مِن حِبائكا

ثمانينَ ألفاً قد حُزتُ مِن صُلْبِ مالِه ... ولم يكُ قسماً من أُلي وأولائكا

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٢.
(2) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٥.
(3) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٣.
(4) ق/ ١١ (الديوان).
(5) ابن رشيق: العمدة، ٢/ ١٨٥.
(6) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٥.

فأجابه مروان بقصيدة يقول فيها[1]:

أَسلمُ بنَ عمروٍ قد تعاطيتَ غايةً ... تُقصِّر عنها بعد طُولِ عَنائِكا
فأقسمُ لولا ابنُ الربيعِ وَرَفْدُهُ ... لَمَا ابتلَّت الدَّلوُ التي في رِشائِكا
وما نِلتَ مذ صُوِّرتَ إلاّ عطيَّةً ... تقومُ بها مصرورةً في رِدائكا

هذه الرواية تشير إلى أنّ شاعرنا، فضلاً عن تكسّبه بشعره، كان يطمح في منافسة الآخرين من أهل هذا الفنّ.

ويروي الأصمعي أنّ سلماً الخاسر كان من أقران مروان، وأنّهما قد تزاحما بالشعر في مجالس الخلفاء، وسُوِّي بينهما في الصّلة[2]. ومن مظاهر هذا التنافس بين الشاعرين أنّ سلماً كان قد كسب مالاً، منه مائة ألف درهم وألف درهم على قصيدة يمدح بها المهدي، والتي مطلعها:

حضرَ الرحيلُ وشُدّتِ الأحداجُ ... وغدا بهنّ مُشَمِّرٌ مِزْعاجُ

وكان المهدي أعطى ابن أبي حفصة مائة ألف درهم بقصيدته:

طَرَقَتْكَ زائِرةً فحيِّ خيَالَهَا ... بيضاءُ تخلِطُ بالجمالِ دَلالَها

فأراد أن يُنقص سلماً عن هذه الجائزة، فحلف سلم أن لا يأخذ إلّا مائة ألف درهم وألف درهم، وقال للمهدي: تُطرح القصيدتان إلى أهل العلم حتى يخبروا بتقدّم قصيدتي، فأنفذ له المهدي مائة ألف درهم، فكان هذا من أصل ماله[3].

سلم وأبو الشمقمق[4]:

تلوّنت عَلاقة أبي الشمقمق بشعراء عصره بالظروف والأحوال التي أحاطت به؛ وذلك لإخفاقه في الحصول على عطايا أصحاب المال، فكان أن لجأ إلى ملاحقة الشعراء المتكسّبين لتحصيل معيشته. وكان سلم الخاسر من بين هؤلاء الشعراء الذين طاردهم، وأخذ يتسقّط أخباره؛ فإذا ما علم بحصوله على جائزة من أحد الأثرياء سعى خلفه، طالباً سهمه منها. وكان سلم يعطيه اتقاءً لهجائه اللاذع[5].

---

(١) ق/ ٤٤ (الديوان).
(٢) المرزباني: الموشح، ص٢٣٢.
(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٧.
(٤) أبو الشمقمق (٠٠٠ ـ نحو ٢٠٠هـ/ ٨١٥م).
هو مروان بن محمد، الملقب بأبي الشمقمق. شاعر هجاء، من أهل البصرة، خراساني الأصل، من موالي بني أميّة. له أخبار مع شعراء عصره، وكان قبيح المنظر. كان بشار يعطيه في كل سنة مائتي درهم، يسميها أبو الشمقمق «جزية» (الزركلي: أعلام، ٨/ ٩٧).
(٥) غرونباوم: شعراء عباسيون، ص١٠.

وحصل مرّة أن خرجت لسلم جائزة، فطالبه أبو الشمقمق بنصيبه، فأبى أن يمنحه شيئاً، فهجاه هجاء مُقْذِعاً. وعندما سمع سلم بهذا الهجاء، جاءه وأعطاه خمسة دنانير وقال له: «أحبّ أن تُعفيني من استزارتك أمّي وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها[1]».

سلم ووالِبة بن الحُباب[2]:

كان سلم يُهاجي هذا الشاعر ليُثيره ويُخرجه عن صمته، فأرسل إليه مع أحد الناس قوله:

يا والبَ بنَ الحُبابِ يا حَلَقي	لستَ مِن أهلِ الزِّناءِ فانطلقِ
تُدخِلُ فيه الغُرمولَ تُولجهُ	مثلَ ولوجِ المفتاح في الغَلَقِ

وحينما وصلت هذه الرسالة إلى والبة ثارت ثائرته، وانطلق على سجّيته، وقال لناقلها: «قُلْ له يا بن الزانية، سل عنك ربعان التميمي». وكان ربعان لُوطيّاً، آفة من الآفات[3].

سلم وأشجع السُلمي[4]:

لم يرد إلينا من الأخبار ما يشير إلى عَلاقة سلم بأشجع في حياته. ولكن وصل إلينا شعر لأشجع في رثاء سلم عند وفاته، ومن خلّال هذه الأبيات القليلة نستشفّ تقديره له ولسيرورة شعره، إذ قال في رثائه[5]:

يا سلمُ إنْ أصبحتَ في حفرةٍ	موسَّداً تُرباً وأحجارا
فربَّ بيتٍ حَسَنٍ قلتَهُ	خلّفتهُ في الناس سيّارا
قلّدتهُ ربّاً وسيّرتَهُ	فكان فخراً منكَ أو عارا
لو نطقَ الشعرُ بكى بعدَهُ	عليهِ إعلاناً وإسرارا

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣١.

(٢) والبة بن الحباب (٠٠٠ ـ نحو ١٧٠هـ/ ٨١٥م).
هو والبة بن الحباب الأسدي الكوفي. شاعر غزل، ظريف، ماجن، وصاف للشراب، وهو أستاذ أبي نواس. قدم والبة إلى بغداد في أواخر أعوامه، فهاجى بشاراً وأبا العتاهية وغلباه، فعاد إلى الكوفة كالهارب. ولمّا مات رثاه أبو نواس (الزركلي: أعلام، ٩/ ١٢٣).

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٨.

(٤) أشجع السلمي (٠٠٠ ـ نحو ١٩٥هـ/ ٨١١م).
هو أشجع بن عمر السُلمي. شاعر معاصر لبشار، ولد باليمامة ونشأ في البصرة، واستقر ببغداد، مدح البرامكة، وانقطع إلى جعفر بن يحيى، فقرّبه الرشيد. عاش إلى ما بعد وفاة الرشيد ورثاه (الزركلي أعلام، ١/ ٣٣٢).

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٣.

الفصل الرابع

لمحة عن تطوّر الشعر

انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين:

تعرّض حكم بني أميّة منذ تأسيسه على يد معاوية بن أبي سفيان لثوراتٍ دموية عنيفة رافقته طَوال عهده[1]. وقد أوهنت هذه الاضطرابات المتلاحقة دولة الأمويين وفكّكتْ أوصالها، حتّى أصبحت سهلة المنال. فتهيّأتِ الأجواء الملائمة لخصومهم من العبّاسيين والعلويين للعمل على الإطاحة بهم واستعادة سلطانهم المسلوب ـ حسب آرائهم ـ والانتقام من هذا البيت الذي طالما اضطهدهم ونكّل بآبائهم وأجدادهم.

وجد العبّاسيون في الموالي تربةً صالحة لبثّ أفكارهم بينهم، حيث تقبّلوا دعوتهم واستجابوا لها؛ لأنّها كانت تنسجم مع مشاعرهم التي كانت تطفح بالعِداء للأمويين، الذي أجحفوا بحقّهم وحرموهم حقّ المساواة بالعرب ـ هذا الحقّ الذي أكّده الإسلام في مُحكم كتابه وفي سنّة رسوله.

لم يكن ينقص العباسيين شيءٌ من الدهاء والحُنْكَة، فمن جهة لهم يُظهروا مطامحهم ومطامعهم بالخلافة كيلا يثيروا أبناء عمومتهم من العلويين، ومن جهة أخرى حملوا شعار الثأر لآل محمد ﷺ، واتّخذوا شعارهم: العمل على رفع الظلم عن الموالي؛ فلاقت دعوتهم الدعم والتأييد من كِلا الطرفين. وقد اتّخذوا من الكوفة مركزاً لدعوتهم لكثرة الساخطين فيها على حكم بني أميّة، حتّى إذا تبيّن لهم أنّ هذه المدينةَ تدين بالولاء لآل علي بن أبي طالب (رض)، نقلوا قاعدة نشاطهم إلى خراسان، وجعلوا منها نقطة انطلاق إلى مختلف المناطق والبقاع[2].

كان أبو سلمة الخلّال وأبو مسلم الخراساني من كبار القادة، الذين اعتمد عليهم العبّاسيون في صراعهم مع الأمويين. فقد أطلق على أبي سلمة الخلّال (وزير آل

---

(١) من هذه الثورات: ثورة ابن الزبير، وثورة ابن الأشعث، وثورة يزيد بن المهلّب، وثورات الخوارج والشيعة.

(٢) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ص٤٨٧ وما بعدها.

محمد) وكان ميله مع العلويين[1]. أمّا أبو مسلم فكان من ألمع القادة وأكثرهم دِرايةً ودَهاء، إذا استطاع أن يؤلّب أهل خراسان ويجمعهم حوله بانتظار ساعة الانقضاض على خصومهم الأمويين. وحينما اندلعت نار الثورة العباسية، أخذت جيوش أبي مسلم تتقدّم من معاقل أعدائهم، فلم تجد مقاومة تذكر، حتّى كانت موقعة الزاب الكبرى في شَمالي العراق، والتي هزم فيها جيش الأمويين هزيمة ساحقة، فتشتّت عساكرهم، ولاذ من بقي منهم حيّاً بالفِرار. ولذلك انهار حكم بني أميّة، وأخذ العباسيون يطاردون فلولهم، وأعملوا فيهم السيف دونما هَوادة ولا رأفة[2].

وهكذا أفلت الحكم الإِسلامي من أيدي أسرة عربية عمادها العرب إلى أسرةٍ عربية أخرى عمادها الأعاجم والموالي.

إنّ الصراع على السلطة لم ينتهِ بانتهاء الأمويين، لكنه اتخذ شكلاً جديداً، إذ سُرعان ما برز الصراع عنيفاً بين العباسيين من جهة وبين العلويين من جهة أخرى، فكلّ فئة منهما كانت ترى أنّها صاحبة الحقّ بالسلطان. فأحفاد عليّ (رض) كانوا يعلّلون النفس بأنّ الثورة كانت تعمل لصالحهم وأنّ الخلافة ستؤول إليهم، وبذلك يستردّون حقّهم المغتصب وملكهم المسلوب. ولكنّ العباسيين كانوا أوسع حيلةً وأقدر على التحرّك لاستلام الحكم، إذ سُرعان ما دخل أبو العبّاس الكوفة واتجه صوب مسجدها، فبايعه الناس؛ فصعد المنبر وأخذ يأتي بالبراهين على أولويّة العباسيين وتقدمهم على العلويين. ثم تلاه عمّه داود مؤكّداً هذا الحقّ، ذاكراً فضل الخراسانيين، حين يقول: «يا أهل الكوفة، إنَّا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقّنا، حتى أتاح لنا شيعتنا أهلَ خراسان، فأحيا بهم حقّنا، وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ما تنتظرون وإليه تتشوّقون، فأظهر فيكم الخليفةَ من بني هاشم، وبيّض به وجوهكم، وأدالكم على أهل الشام[3]...».

لم يطمئن الخليفة العباسي الجديد لأهل الكوفة لممالئتهم العلويين، فعدل عنها واتّخذ من الهاشميّة في جواز الحيرة مقرّاً لسلطانه. كما أنّ شكّه بإخلاص أبي سَلَمة الخلّال للعباسيين، دعاه إلى إغراء أبي مسلم الخراساني بقتله للتخلّص منه[4].

لم يكتب لأبي العباس أن يعمّر طويلاً، فخلفه أخوه أبو جعفر المنصور، الذي كان من أوائل أعماله وأبرزها بناءُ مدينةٍ بغداد على الجانب الغربي لنهر دجلة. هذه

(١) ضيف: تاريخ الأدب العربي، ٣/ ١٣.

(٢) الطبري: تاريخ، ٧/ ٤٤ (ط. دار المعارف بمصر).

(٣) الطبري: تاريخ، ٧/ ٤٤٩ (ط. دار المعارف بمصر).

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٨٤.

المدينة التي أصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية؛ وبذلك غدت قِبلة العالم، يؤمّها الناس من مختلف بقاع الأرض.

وهكذا انطفأت شعلة الحياة في دمشق أميّة العرب، لتضيء من جديد في بغداد العباسيين، بغداد العجم بلسان العرب.

مظاهر الحياة العباسيّة

لا بدّ قبل الحديث عن الشعر في العصر العباسي الأوّل من التعرّف إلى معالم الحياة العبّاسية الجديدة، التي فرضت عليه مسالك واتجاهاتٍ وقوالبَ لم يعهدها شعراء العصور السالفة. والأمر الذي لا جدال فيه أنّ شعر هذه الحِقْبة لم يكن إلّا صدىً لأمّة امتزجت عناصرها البشرية، وتلاقحت دماؤها وأفكارها، فأنجبت حضارة إسلامية شعّت في مشارق الأرض ومغاربها.

بعد استقرار الحكم العبّاسي دانت جميع البلاد الإسلامية لسلطان الخلافة العباسية، وتدفّقت الأموال والخيرات على بغداد، فازدهرت الحياة الاقتصادية. فعمد الحكام إلى بناء القصور الفخمة والدور الرحبة، وفرشوها بأفخر الرياش. ولبسوا الخِزّ والديباج، وقلّدوا أكاسرة الفرس بطرائق معيشتهم، فعاشوا حياة البذخ والترف لكثرة ما انهال عليهم من الذهب والأموال[١]. ويُروى أنّ دَخْلَ بيت المال في عهد الرشيد كان زهاء سبعين مليوناً من الدنانير سنوياً[٢]. ولم يقتصر هذا الغنى الفاحش على الخلفاء أنفسهم، بل تجاوزه إلى الوزراء والولاة. فهذا الفضل بن الربيع وزيُر الرشيد يملك قطعة تدرّ عليه مليون درهم سنوياً[٣].

ولم يبخل الخلفاء والوزراء بهذا المال، بل أكثروا من عطاياهم وهِباتهم للعلماء والأطّباء والشعراء والمغّنين، وكتب الأدب تزخر بالحديث عن كرمهم هذا. وطبيعي أن يقود مثل هذا الغنى إلى حياة جديدة، مسكناً وملبساً ومأكلاً ومشرباً، وأن يُشيع في أجواء بغداد البذخ والإِسراف، وأن تجود قرائح الشعراء والمغّنين خَلْقاً وابتكاراً.

أمّا النساء فقد بالغن في الزينة والتأنُّق، فلبسن الحرائر والحُلى والجواهر، كما تعطّرن بأنواع الطِّيب والمسك والعَنْبر[٤].

ومن مظاهر الحياة الجديدة كثرةُ الجواري والرقيق، فقد كانت هذه التجارة رائجة في بغداد، يغذيّها أسرى الحروب المستمرّة. وما يعنينا في هذا البحث هو رقيق

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكّتاب، ص٢٨١.
(٢) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٣٢ (ط. دار الرجاء بمصر).
(٣) المسعودي: مروج، ٣/ ٢٣٦ (ط. الرجاء بمصر).
(٤) الأصفهاني: الأغاني، ١٨/ ١٨٧ (ط. ساسي).

النساء من الجواري اللائي لعبن دوراً بارزاً في تنشيط الحياة الأدبية والغناء؛ هؤلاء الجواري كنَّ من بلاد مختلفة، ويحملن عادات وتقاليد وثقافات متنوّعة، فأثّرن في الحياة الاجتماعية تأثيراً ملحوظاً، وصبغن حياة بغداد صبغة لم يعهدها العرب من قبلُ(١). وقد وصلت بعضهن إلى مراتبَ عاليةٍ، إذ كان أكثر الخلفاء العباسيين من أبنائهن. فالمنصور أمّه حبشية، والهادي والرشيد أمّهما الخَيْزُران رومية، والمأمون أمّه فارسية، وكذلك أمّ المعتصم والواثق(٢).

وعملاً على رفع منزلتهن فقد كانت كثيرات من هؤلاء الجواري يتعلّمن فنون الأدب والشعر، فيملأن أجواء بغداد غناءً وشعراً، فيزيد ذلك في جمالهن وتقديرهن، فيتهافت الرجال عليهنّ، وتُعرض لأجلهنّ أغلى الأثمان.

لم يقف تطوّر الحياة العبّاسية عند حدّ تغيير معالم الحياة العربية في البناء والمأكل والملبس، بل تعدّاها إلى مجالات أكثر حساسية وأشدّ خطورة. فالخمرة التي حرّمها القرآن، وكان يُجلد شاربها، أخذ كثير من الناس يتعاطَوْنها في حانات بغداد ودكاكينها. ولكن ممّا يجدر ذكره أنّ هذا الانتشار الواسع لم يكن إلّا بعد أن أحلَّ الفقهاء بعض أنواعها، كنبيذ التمر والزبيب والعسل والتين، شرط عدم إسكارها لشاربها(٣). وما يؤكّد ذلك أنّ بعض الخلفاء شربوها ولم يتجاوزوا الأنواع التي أحلّها الفقهاء(٤).

ولكنّ الأمر لم يقف عند حدّ التحليل والتحريم لدى بعض المُجّان، فقد تجاوز هؤلاء الشاربون هذه الحواجز، وشربوا كؤوس الخمر المُترَعة، فأسكرتهم ومشت في مفاصلهم، فأباحوا واستباحوا وكشفوا الحجب والأستار. وما علينا إلّا أن نراجع ديوان أبي نُواس وزمرته من المجّان، لنشهد وصفهم لها ولكؤوسها ولفعلها في النفوس، ولِما كان يدور في مجالسها من مجون وتهالك على اللذّة واستباحة لِلْحُرمات.

هذا الإدمان على الخمر قاد شاربيه إلى مزيدٍ من الفحش. وليس مستهجناً أن يكون زنادقة العجم هم الذين كانوا يعملون على تنشيط هذه الأجواء، كما لا يُستبعد أن يكون حقد هؤلاء الناس على الإسلام وقيمه هو الذي حَفَزهم على ذلك.

لم يكتفِ هؤلاء الخلعاء بإشاعة الرذيلة في جانب من الحياة دون آخر، فقد

---

(١) إن أخبار البذخ والإسراف ومجالس الشراب والغناء التي أقحم فيها بعض الخلفاء والقادة والولاة، لا يتفق مع نجاحهم الباهر في إدارة شؤون الحكم وقيادة الجيوش والعساكر. علماً أنّ أكثر من جاؤوا بهذه الأخبار هم من خصوم العباسيين.

(٢) صنيف: تاريخ الأدب العربي، ٣/ ٥٨.

(٣) أمين: ضحى الإسلام، ١/ ١١٩.

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٢٢٩، ٣٨٦. الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص١٤٤.

عمدوا إلى التغزّل بالغلمان المُرْد. وكان أوّل من شهر بذلك والِبة بن الحُباب، الذي قاد هذا النوع من الغزل، دونما حياءٍ أو استحياء[1].

ومما هو جدير بالإشارة أنّ هؤلاء القوم من المجّان لم يتمكّنوا من الوصول إلى الأحياء المحافظة، بل كانوا يعقدون مجالسهم في حاناتٍ وأوكار خاصّة، كان يديرها ـ على الغالب ـ أناسٌ من المجوس والنصارى واليهود[2].

لذلك، فإنّ هؤلاء الشعراء لا يعبّرون عن حقيقة بغداد، وإنّما يمثّلون وجهاً من وجوه هذه المدينة الجامعة. أمّا الوجوه البغدادية الأخرى فلم تكن لتنجرف مع هذه الزُّمَر الفاحشة، وبخاصّة أنّ الإسلام أباح تعدّد الزوجات، فحال دون انجراف الرجال فيَ بؤرة الفساد وهوّة الضلال.

ومن مظاهر الحياة العباسية الجديدة بروز نزعة الشعوبيّة، هذه النزعة التي حملها بعض الموالي. علماً أن جذور هذه النزعة تعود إلى العهد الأموي، فمن المعلوم أنّ الإسلام جاء للناس كافّة، لا يَفْضُل فيه عربيٌّ أعجمياً إلّا بتقواه، ولا يفضل أبيض أسود إلّا بما يقدِّمه من عمل صالح، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3].

هذا هو جوهر الدين الإسلامي الذي نزل على محمّد ﷺ، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده. ولكن ما إن جاء الأمويون إلى سُدّة الحكم، حتّى قلب بعضهم ظهر المِجنّ لغير العرب، وعاملوهم معاملة لا يقرّها الإسلام في بعض الأحيان.

هذه المعاملة من جانب بعض الأمويين أثارت الموالي وألّبتهم عليهم، حتى تمكّنوا من الثأر لأنفسهم في الانقلاب العباسي الآنف الذكر. وحينما تسلّم العباسيون الخلافة شعر بعض الموالي بحرارة العصبيّة القوميّة، فتطاولوا على العرب، ثمّ تجاوزوا حدودهم، فنشأ ما عرف بالحركة الشُّعوبيّة. هذه النزعة التي جعلت أصحابها ـ خاصّة الفرس ـ يفاخرون العرب ولا يرَوْن لهم فضلاً عليهم، وأخذ بعض المتطرّفين منهم يحطّون من قَدْر العرب ويخفضون من شأنهم.

كان من أوائل الشعراء الذين بدت عليهم هذه النزعة بشّار بن بُرد، إذ كان يكثر من الفخر بمواليه من قَيْس في عصر بني أميّة، ولكن نجده في العصر العباسي يتبرّأ من هذا النسب، فيقول[4]:

أصبحتُ مَوْلَى ذِي الجَلالِ وبعضهم   مَوْلَى العُرَيْب فخذْ بفضلكَ فافخرِ

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ٣/ ٢٢٠ (ط. القاهرة ١٩٦٠). الأصفهاني: الأغاني، ١٦/ ١٤٢ (ط. ساسي).

(٢) ضيف: تاريخ الأدب العربي، ٣/ ٦٧.

(٣) الحجرات، آية/ ١٣.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٣٣.

ثم يزداد تطاولاً، حين يعتزّ بُعجمته في حضرة الخليفة نفسه. فقد دخل يوماً على الخليفة المهدي، فقال له المهدي: فيمن تعتدّ يا بشّار؟ فقال: أمّا اللسان والزّيّ فعربيّان، وأمّا الأصل فعجمي، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين[1]:

ونُـبِّـئْـتُ قـومـاً بـهِـم جِـنَّـةٌ	يـقـولـونَ: مَـن ذا؟ وكـنـتُ الـعَـلَـمْ
ألا أيُّـهـا الـسـائـلُ جـاهِـداً	لـيـعـرفـنـي أنـا أنْـفُ الـكـرَم
نَـمـت فـي الـكـرامِ بـنـي عـامـرٍ	فـروعـي وأصـلـي قـريشُ الـعـجـمْ
فـإنـي لأغـنـي مـقـامَ الـفـتـى	وأُصـبـي الـفـتـاةَ فـمـا تَـعْـتَـصِـمْ

لا شكّ أنّ نزعة الشعوبية هذه كانت من أخطر ما عرفه التاريخ الإسلامي، إذ تطوّرت فأدّت إلى ظهور حركة الزندقة[2]، التي كان من أهدافها القضاء على الدين الإسلامي وإحياء دين الفرس القديم؛ وبذلك يقول الجاحظ: «إنّ عامّة من ارتاب بالإسلام، إنّما كان أوّل ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه وطول الجدل المؤدّي إلى الضلال؛ فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحبّ من أبغض تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وهي السلف والقدوة[3]».

وقد تنبّه الخلفاء العباسيون لخطر هؤلاء الزنادقة، فتعقّبوهم وقتلوا كثيراً منهم[4].

إنّ ما أشرنا إليه من الزندقة والمجون لم يكن ليمثّل الحياة العبّاسية وفئاتها المختلفة، فهذه النزعات كانت محصورة في فئةٍ معيّنة من الناس، كثرتها من الأعاجم. أمّا عامّة الناس فكانوا لا يعرفون زندقة ولا مجوناً؛ وإذا كانت الحانات ودُور النخاسة مكتظّة بروّادها، فإنّ المساجد كانت عامرة بعُبّادها وبطالبي العلم والمعرفة فيها[5].

تطوّر الشعر في العصر العبّاسي الأول:

إنّ ما يعنينا في بحثنا هذا هو الشعر في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، إذ إنّ سَلْماً رافقه من أوّله حتى آخره تقريباً.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٣٣.

(٢) الزندقة: كلمة الزندقة ليست عربية الأصل، بل هي تعريب لمصطلح إيراني قديم كانوا يطلقونه على صنيع من يؤوّلون «الأفشتا» كتاب داعيتهم زرادشت، تأويلا ينحرف عن ظاهر نصوصه، وبذلك نعت بها أتباع ماني. أمّا مدلول هذه الكلمة في العصر العباسي فقد اتسع ليشمل أصحاب البدع والنحل المجوسية. ثم تطورت فشملت الملحدين والفسّاق الماجنين. (صيف: تاريخ الأدب العربي، ٢/ ٧٩).

(٣) الجاحظ: الحيوان، ٧/ ٢٣٠ (ط. الحلبي).

(٤) الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٠٨ وما بعدها. (٥) ضيف: تاريخ الأدب العربي، ٣/ ٨٣، ٨٤.

يحاول كثير من الدارسين لتاريخ الأدب العربي أن يقسّموه إلى عصور، ثمّ يعمدون إلى دراسة كل عصر على حِدة؛ كأنّما هنالك فواصل وحواجز تفصل هذا العصر عن ذاك.

والواقع، إنّ المتتبّع لتاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وحتّى العصر العبّاسي، يلاحظ صعوبة هذا التقسيم على أساسٍ سياسي أو زمني، لأنّ الإنسان يسير في تطوّره حسب سنّة الحياة التي تجعله يتكيّف مع واقعه. إلّا أنّ هذا التكيّف لا يتمّ دفعةً واحدةً، بل يسير بخطىً وئيدة، ويتّخذ أشكالاً مختلفة؛ ثمّ يتّخذ طابعاً معيّناً لكل عصر من العصور.

وعلى الرغم من أنّ كارل نالينو قد سار في دراسته لتاريخ آداب اللغة العربية على الطريقة التقليدية المعتمدة على التاريخ السياسي، فإنّه قد قرّر صراحةً فساد هذا التقسيم قائلاً: «إنّ هذه الحدود ليست إلّا حدوداً اصطلاحية... فإنّ عصراً ما، سَواء من التاريخ السياسي أم تاريخ الآداب والعلوم لا يحصر في مواقيت معيّنة بدقّة، لأن كلّ حيٍ وكلّ نوعٍ أو فرعٍ من الهيئة الاجتماعية لا تتغيّر أحواله بديهياً أبداً، بل من المشهور أنّ الانتقال من حالٍ إلى حال لا يحصل إلّا بالتدريج البطيء، حتّى لا يُشعر ـ في الغالب ـ بالفرق بين الدرجة القادمة والدرجة التالية لها. فإن أعملنا الفكر فيما يظهر بادىء نظر، أنّه تقلّبٌ مفاجىء، ألفينا أنّه في الحقيقة نتيجة عدّة أسباب مرتبطة بعضها ببعض عاملة منذ زمنٍ طويل[١]».

أمّا بروكلمن فقد قسّم شعراء هذا القرن جِغرافياً، فيتحدّث عن شعراء بغداد، العراق، الجزيرة الفراتية، الجزيرة العربية، الشام، مصر، المغرب، الأندلس، ثمّ يُجمل خصائص الشعر شكلاً ومضموناً، دونما اكتراثٍ بتلك البيئات أو المؤثّرات التي أحاطت بشعر هذه الحِقْبة[٢].

وممِن أدركوا فساد الارتباط بين الأدب وتطوّره من جهةٍ وبين التغيّرات السياسية من جهةٍ أخرى الرافعي في كتابه «تاريخ آداب العرب[٣]».

ونحن نلاحظ أنّ الشعر في القرن الثاني الهجري قد تأثّر بعوامل ومؤثّرات سبقت الإشارة إليها. فالحياة العباسيّة الجديدة هي التي فرضت على شعر هذه الحِقبة الاتجاهات والقوالب الجديدة.

---

(١) نالينو: تاريخ الآداب العربية، ص٤٧.

(٢) بروكلمن: تاريخ آداب اللغة العربية، ج/٢.

(٣) الرافعي: تاريخ آداب العرب، ١/١٦ (ط. مصر ١٩١١).

وإذا كان التجديد يعني الخروج على القديم وعدم التقيّد بأحكامه، وبما يفرضه من قواعدَ وقوالبَ، فإنّ الوليد بن يزيد (الخليفة الأموي) هو أوّل من فكّ القيود وحطّم أغلال القديم وخرج عليه. فكان الوليد أوّل أميرٍ وشاعرٍ قاد حريّة التعبير وفتح باباً لم يُسبق إليه، فكان رائد القصيدة الخمرية. وليس هذا فحسب، بل استعمل لغة مألوفة قريبة من أفهام عامّة الناس، فكان بذلك قائداً لشعبيّة الشعر أيضاً[1]. فعلى يد الوليد نشأت القصيدة الخمرية المستقلّة، وعلى يديه نشأت المقطّعات الشعرية بأوزانٍ رشيقةٍ قصيرة، وذلك لتتلاءم مع فنّ الغناء الذي شاع في العصر الأموي[2]. قال في إحدى خمريّاته[3]:

أصدِعْ نجيَّ الهمومِ بالطربِ ... وانعمْ على الدهرِ بابنةِ العنبِ

واستقبلِ العيشَ في نضارتِه ... لا تَقْفُ منهُ آثارَ مُعْتَقِبِ

مِن قهوةٍ زانَها تقادُمُها ... فهيَ عجوزٌ تعلو على الحِقَبِ

أشْهَى إلى الشَّرْبِ يومَ جَلْوَتِها ... مِن الفتاةِ الكريمةِ النسبِ

فقد تجلّت ورقَّ جوهرُها ... حتّى تبدّت في منظرٍ عجَبِ

فهي بغيرِ المزاجِ مِن شَرَرٍ ... وهي لدى المزجِ سائلُ الذهبِ

كأنّها في زجاجِها قَبَسٌ ... تذكو ضياءً في عينِ مُرْتَقِبِ

ويبالغ البهبيتي بدور الوليد وأثرِهِ في العصر العبّاسي، حتّى يجعله «الأب الفنّي» له. هذا غلوٌّ لا نشاركه فيه، إذ في الوقت الذي كان فيه الوليد يقود حركة التجديد في الحجاز، نجد زمرةً من شعراء الكوفة يتماجنون ويعبثون بلغة شعبية وبشعر غنائي شبيهٍ بشعر الوليد. فهذا صاحب الأغاني يورد مقطوعة لأحد أفراد هذه الزمرة، تسجّل عبثهم ومجونهم وأسلوبهم في التعبير، وتنسب هذه المقطوعة لعمّار ذي كناز الذي يقول فيها[4]:

أشتهي منكِ مَنكِ منكِ مكاناً مجَنْبَذا

---

(١) البهبيتي: تاريخ الشعر العربي، ص٢٩٥.

(٢) ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص ٢٧٢ (ط. القاهرة ١٩٥٢).

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٢٠.

(٤) ذوكناز: هو عمّار بن عمرو بن عبد الأكبر، يلقّب ذاكناز (الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٥٦). محنبذ: ما ارتفع من الشيء واستدار.

مُطيع بن إياس (٠٠٠ - ١٦٦هـ/ ٧٨٣م).

هو مُطيع بن إياس الكناني، شاعر من مخضرمي الدولتين الأمومة والعبّاسية. كان ظريفاً، مليح النادرة، ماجناً، متّهماً بالزندقة. مولده ومنشأه بالكوفة، وأصل أبيه من فلسطين (الزركلي: أعلام، ٧/ ٢٥٥).

وهذا مطيع بن إياس، وقد اجتمع بحمّاد الراوية[1] ويحيى بن زياد[2] وحكم الوادي[3] في مجلس شراب في أحد بساتين الكوفة، ومعهم جوهرة المغنّية التي كان يحبّها مطيع، فيقول[4]:

خرجنا نَمْتطي الزَّهَرا	ونجعل سقفنا الشَّجَرا
ونشربُها مُعَتَّقَةً	تخالُ بكأسِها شَررا
وجوهرُ عندنا تحكي	بدارةِ وجهِها القَمَرا
يزيدكَ وجهُها حُسناً	إذا ما زدتَهُ نَظَرا
وجوهرُ قد رأيناها	فلم نَرَ مثلَها بشراً

ولا يُستبعد أن يكون الوليد نفسه قد تأثّر بهؤلاء الشعراء، إذ كان يميل إلى مجالسة أمثالهم. فقد استدعى إليه مُطيع بن إياس وحمّاد عَجْرَد[5] والمطيعي المغنّي، وجعلهم من جلسائه ونُدمائه حتى قتل[6]. كما كان يتردّد على الحيرة والكوفة بين الحين والآخر[7].

كان من أبرز مظاهر التجديد والتطوّر في العصر العباسي تلك الحملة التي حمل لواءها المولّدون من الشعراء، والتي كانت تستهدف القصيدة الجاهلية ـ شكلاً ومضموناً. هؤلاء الشعراء لم يعيشوا في الصحراء وبين كُثبان الرمال، ولا سكنوا مضارب البدو وتتّبعوا مساقط المياه والواحات، فتركوا آثاراً وذكرياتٍ عَفت عليها الأرياح. إنّهم ـ في مجملهم ـ من أهل المدن، عاشوا في أرض الرافدين الشجراء الخضراء وتنقّلوا بين القصور والحدائق الغنّاء؛ لذلك كانت حملتهم وثورتهم على

---

(١) حماد الراوية (٩٥هـ/ ٧١٤م ـ ١٥٥هـ/ ٧٧٢م).
هو حمّاد بن سابور بن المبارك، أوّل من من لقّب بالراوية. وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها (الزركلي: أعلام، ٢/ ٣٠١).

(٢) يحيى بن زياد (٠٠٠ ـ نحو ١٦٠هـ/ ٧٧٦م).
هو عبيد الله الحارثي، شاعر ماجن، يُرمى بالزندقة، من أهل الكوفة (الزركلي: أعلام، ٩/ ١٧٨).

(٣) حَكَم الوادي (٠٠٠ ـ نحو ١٨٠هـ/ ٧٩٦م).
هو حكم بن ميمون. مغنّ من الطبقة الأولى في عصره، أصله من الموالي، أدرك الرشيد وغنّاه (الزركلي: أعلام، ٢/ ٢٩٦).

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ٧/ ٥٧ (ط. بولاق).

(٥) حمّاد عجرد (٠٠٠ ـ ١٦١هـ/ ٧٧٨م).
حمّاد بن عمر بن يونس بن كليب. شاعر من الموالي، من أهل الكوفة. نادم الوليد بن يزيد الأموي، وقدم بغداد في أيّام المهدي (الزركلي: أعلام، ٢/ ٣٠٢).

(٦) حسين: حديث الأربعاء، ٢/ ١٦١.

(٧) البلاذري: أنساب، ٨/ ٣٢١.

القوالب الجاهلية التي لم يجدوا فيها إلّا بُعداً عن حياتهم وتعطيلاً لمزاجهم.

حمل هؤلاء المولّدون على افتتاح القصائد بالوقوف على الأطلال وبكاء الآثار الدارسة ومخاطبة الدمن ووصف الصحراء والناقة والفرس. وكان أبو نُواس من أوائل الثائرين، إذ نعى على الشعراء تمسّكهم بهذه التقاليد وذكرهم للغابرين من الأعراب وتمجيدهم لنسبهم وحَسبهم. فأبو نُواس لا تربطه بتلك الطلول رابطة الهوى، ولا يشدّه إليها حبّ السلف، كما ليس لتلك المواقع ذكريات في نفسه. قال ثائراً[١]:

مالي بدارٍ خَلَتْ مِن أهلِها شُغُلُ ... ولا شَجاني لهَا شخصٌ ولا طَلَلُ
لا الحَزْنُ[٢] منّي برأيِ العين أعرفُهُ ... وليس يَعرفني سهلٌ ولا جَبَلُ
لا أنعتُ الروضَ إلّا ما رأيتُ بهِ ... قصراً منيفاً عليهِ النخلُ مشتمِلُ
فهاكَ مِن صفتي إن كنتَ مُختبِراً ... ومُخبِراً نَفراً عنّي إذا سألُوا

وتبعه الشعراء المولّدون في ثورته. فهذا مطيع بن إياس يرى في ملاحظة العاشقين خيراً من البيد والجبال الجرداء، حيث يقول[٣]:

لأَحْسَنُ مِن بِيدٍ يحَار بها القَطَا ... ومِن جَبَلَيْ طيٍّ ووَصْفِكُما سَلْعَا
تَلاحُظُ عَيْنَيْ عاشِقِينِ، كِلاهما ... لهُ مُقلةٌ في وجهِ صاحبهِ تَرْعَى

أمّا بشّار فإنّه يستهزىء بالوقوف على الأطلال قائلاً[٤]:

كيفَ يبكي لِمحبسٍ في طُلولٍ ... من سيبكي لحبسِ يوم طويلِ
إنّ في البعثِ والحساب لشُغلاً ... عن وقوفٍ برسمِ دارٍ مَحيلِ!

ورغم هذه الثورة وذلك الاستهزاء، فإنّ هؤلاء الثائرين أنفسهم قد افتتحوا الكثير من قصائدهم بمخاطبة الديار الدّارسة على طريقة القدماء من الشعراء؛ وذلك إرضاءً لممدوحيهم من الخلفاء والأمراء الذين كانوا يفضّلون تلك المطالع ويستهويهم ذلك الأسلوب. فهذا أبو نواس الثائر يمدح الرشيد متزلّفاً، فيخاطب الديار ويصف الراحلة التي أوصلته إليه، ولا ينسى أن يبعث بالسلام لدار أُميمةَ، وذلك في قصيدته التي مطلعها[٥]:

حَيِّ الديارَ، إذِ الزمانُ زمانُ ... وإذِ الشُّباكُ لنَا حَوَىً ومَعانُ[٦]
يا حبّذا سَفَوانُ مِن مُتَرَبَّعٍ ... ولربَّما جمعَ الهوى سَفَوانُ[٧]

---

(١) أبو نواس: ديوان، ص٢٥٧.
(٢) الحزن: المرتفع من الأرض.
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٣٢٢.
(٤) ابن المعتز: طبقات، ص ٢٤.
(٥) أبو نواس: ديوان، ص٢٥٦ (المطبعة الحميدية).
(٦) الشباك: طريق حاجّ البصرة.
(٧) سفوان: ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة.

وإذا مررتَ على الديارِ مُسَلِّماً فلغيرِ دارِ أميمةَ الهِجْرانُ

بينما نجد بشّاراً أكثر تمسّكاً بالمطالع القديمة، رغم تجديده وثورته وشعوبيّته. قال في داليّته التي أراد بها عُقبة بن سلم[1]:

يا طَلَلَ الحيِّ بذاتِ الصَّمد بالله حدّث كيف كنتَ بعدي!

واتجه بعض الشعر في هذا القرن اتجاهاً ماجناً لم يسبق إليه ـ إلّا في حالاتٍ نادرة ـ حيث طغى على عددٍ كبيرٍ من الشعراء.

وقد قُرنت موجة المجون بمظهر الزندقة التي كان يغذّيها الشعوبيون من الموالي. ولعلّ أبرز شعراء المجون والزندقة والِبة بن الحُباب وأبو نواس وحمّاد عجرد ومطيع بن إياس وغيرهم.

فهذا والبة يكشف عن إباحيته المزدكية بقوله[2]:

حتّى إذا ما انتشينا وهزّنا إبليسُ
رأيتَ أعجبَ شيءٍ منّا ونحن جُلوسُ
هذا يقبّل هذا وذاكَ هذا يبوسُ

وهذا بشّار يجاهر بلذّته ويدعو الناس إلى ارتكاب المحرّمات جهراً، حينما يقول[3]:

مَن راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجتهِ وفازَ بالطّيباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ[4]
قالوا: حرامٌ تلاقينا فقد كذبوا ما في التزامِ ولا في قُبلةٍ حَرَجُ

أمّا أبو نواس فيصرّ على الفساد والمعصية، إذ يقول[5]:

لستُ بالتاركِ لذّاتِ الندامَى للصّلاحِ
قلْ لِمن يبغي صَلاحاً بِعتُ رُشدي بطَلاحي
أطيبُ اللّذاتِ ما كانَ جِهاراً بافتضاحِ

ولكن مما هو جدير بالملاحظة، إنّ هؤلاء الشعراء كانوا من الموالي ومن المشبوهين بدينهم وعقيدتهم!.

---

(١) بشّار: ديوان، ٣/١٧٨ (ط. لجنة التأليف والنشر. مصر).

(٢) ابن المعتز: طبقات، ص٨٩.

(٣) بشّار: ديوان، ٢/٧٥.

(٤) الفاتك: القاتل، واستعاره للجريء الذي لا يعبأ بإنكار الناس. اللهج: المغري بالشيء، المثابر عليه.

(٥) أبو نواس: ديوان، ص٣٤٤.

أمام هذا التيار الماجن ظهر تيّار معاكس، يدعو إلى الزهد وتقوى الله للتحصّن من هذه التيارات الفاحشة والإباحية الفاتكة. وتزعّم هذا الاتجاه أبو العتاهية الذي جعل التقوى هي المقياس السليم للإنسان السليم، فقال[1]:

دَعني مِن ذكرِ أبٍ وجَدٌّ ... ونَسبٍ يُعليكَ سُورَ المجدِ
ما الفخرُ إلّا في التُّقَى والزهدِ ... وطاعةٍ تُعطي جِنانَ الخُلدِ

ومن شعراء الزهد أيضاً محمد بن كُناسة الذي يذكّر الإنسان بمصيره الذي لابدّ من وروده، حين يقول[2]:

ومِن عَجبِ الدُّنيا تُبقِّيكَ لِلبِلَى ... وإنَّكَ فيها لِلبقاءِ مُريدُ

وإذا أردنا أن نصون ديننا فلنقهر هوى نفوسنا:

إذا اعتادتِ النفسُ الرِّضاعَ مِن الهوَى ... فإنّ فِطامَ النفسِ عنهُ شديدُ

أمّا محمود الورّاق[3] فيرشدنا إلى القناعة وتجنّب الطمع، لأنّ الغنى هو غنى النفس، لا غنى المال، فهو يقول[4]:

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ ولم ... يَقْنَعْ فذاكَ المُوسِرُ المُعْسِرُ
وكلُّ مَن كان قنوعاً وإنْ ... كان مُقِلّاً فَهُوَ المُكْثِرُ
الفقرُ في النفسِ وفيها الغِنَى ... وفي غِنى النفسِ الغِنى الأكبرُ

ومن الاتجاهات الجديدة التي طرقها شعراء هذا العصر الأهداف التعليمية، فقد نظم أبانُ اللاحقي كتاب كليلة ودمِنة وعرّفه بقوله[5]:

هذا كتابُ أدبٍ ومِحْنَهْ ... وهو الذي يُدعى كليله ودِمْنَهْ
فيهِ دلالاتٌ وفيهِ رُشْدُ ... وهو كتابٌ وضعتهُ الهندُ
فوصفوا آدابَ كلِّ عالم ... حكايةً عن ألْسُنِ البهائم
فالحكماءُ يعرفونَ فضلَهُ ... والسخفاءُ يشتهونَ هزلَهُ
وهو على ذاكَ يسيرُ الحفظِ ... لَذٌّ على اللسانِ عند اللفظِ

---

(١) أبو العتاهية: ديوان، ص٦٩. (٢) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٣٤٣.

(٣) الورّاق (٠٠٠ ـ نحو ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م).
هو محمود بن حسن الورّاق. شاعرٌ أكثر شعره في المواعظ والحِكَم (الزركلي: أعلام، ٨/ ٤٢).

(٤) ابن عبد ربّه: العقد، ٣/ ٢٠٦ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ٢٠.
اللاحقي (٠٠٠ ـ ٢٠٠هـ/ ٨١٥م).
هو أبان بن عبد الحميد الرقاشي: شاعر مكثر، من أهل البصرة، كان أبوه من الموالي. انتقل إلى بغداد، واتّصل بالبرامكة، فأكثر من مدحهم (الزركلي: أعلام، ١/ ٢٧).

وكان من مظاهر التجديد والتطوّر في القرن الهجري الثاني ما طرأ على صورة الشعر وأسلوبه. فقد اخترع الشعراء أوزاناً جديدة لتنسجم مع الغناء والموسيقى في ذلك العصر؛ كما نظم بعض المولّدين على أوزان قصيرة رشيقة بعد أن هجروا الأوزان التقليدية الطويلة. فلو استعرضنا ما وصل إلينا من شعر مطيع بن إياس مثلاً، لوجدنا كثرته من مجزوء: الخفيف، والبسيط، والرجز، والكامل أو من الهزج، أو من المجتثّ كقوله[1]:

ويلـي مِـمّـن جـفـانـي   وحـبّـهُ قـد بَـرانـي
وطَـيـفُـهُ يـلـقـانـي   وشـخـصُـهُ غـيـر دانِـي
أغـرُّ كـالـبـدرِ تَـغـشَـى   بـحـسـنـهِ الـعـيـنـانِ

وقد اخترع الشاعر العبّاسي وزنين جديدين سجّلهما الخليل بن أحمد، هما: المضارع والمقتضب. فمن المضارع مقطوعة أبي العتاهية التي يقول فيها[2]:

أيـا عُـتْـبُ مـا يـضـرُّ   كِ أنَ تُـطـلـقـي صِـفـادي[3]

وأمّا المقتضب فمنه مقطوعة أبي نواس التي يقول فيها[4]:

حـامِـلُ الـهـوَى تَـعِـبُ   يـسـتـخـفُّـهُ الـطَـربُ
إنْ بـكـى يـحـقُّ لُـه   لـيـس مـا بـهِ لَـعِـبُ

وهكذا أخذ الشعر يتّجه نحو الشعبية ليسهل على عامّة الناس حفظه وتناقله. فهذا بشّار يتغزّل قائلاً[5]:

لا تلعبي بحياتي واقطعِي أَمَلي   صبراً على الموتِ إنّ الموتَ مَوْرودُ
أنتِ الأميرةُ في رُوحي وفي جَسدي   فابري وريشي بكَفَيْكِ الأقاليدُ[6]

أمّا حمّاد عجرد فيهجو بلغةٍ ميسورةٍ وسهلة حين يقول[7].

يـا نـافِـعُ ابـنَ الـفـاجـرة   يـا سـيِّـدَ الـمُـؤاجَـرة

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/٢٩٣.
(٢) المعري: الفصول والغايات، ص١٣٢ (ط. القاهرة ١٣٥٦هـ).
(٣) الصِّفاد: ما يُوثق به الأسير من قَيْد.
(٤) أبو نواس: ديوان، ص٣١٦.
(٥) بشّار: ديوان، ٣/٢٦٧.
(٦) ابري: أمر للمرأة، من برى السهم يبريه، إذا قوّم العود المعدّ للنبل.
ريشي: أمر من راش السهم، إذا ألصق فيه الريش ليخفّ عند الرمي.
الأقاليد: جمع إقليد، وهو المفتاح، أي يكفيك التصرّف والمقدرة.
(٧) الأصفهاني: الأغاني، ١٤/٣٢٧.

يــا حــلــفَ كــلِّ داعــرِ	وزوجَ كــلِّ عــاهِــرة
مــا أمَــةٌ تــمــلّـكَـهــا	أو حــرّةٌ بــطــاهــرة
لــو دخــلَــتْ عــفــيــفــةٌ	بــيــتَــكَ صــارَتْ فــاجِــرة

وكان أبو العتاهية ممّن حملوا لواء الشعبية في الشعر، فمن شعره قوله[1]:

تــعــلّــقــتُ بــآمــالِ	طِــوالِ أيّ آمــالِ
وأقــبــلْــتُ عــلــى الــدنــيــا	مُــلِــحّــاً أيّ إقــبــالِ
أيــا هــذا تــجَــهَّــزْ لِــ	ـفــراقِ الأهــلِ والــمــالِ
فــلا بــدّ مِــن الــمــوتِ	عــلــى حــالٍ مِــن الــحــالِ

ولم يقتصر التجديد في الأسلوب على الأوزان، بل تجاوزه إلى القوافي، فقد استحدث ما سُمّي بالمزدوج والمسمّطات، فالمزدوج استحدثه بشّار[2]. كما أنّ أبان بن عبد الحميد صاغ شعره التعليمي على هذه الطريقة.

ويرى شوقي ضيف أنّ هذه المزدوجات هي التي مهّدت الطريق لظهور الرباعيات في الأدبين: العربي والفارسي. وهي تتألّف من أربعة شطور، يتفّق أوّلها وثانيها ورابعها في قافية واحدةٍ، أمّا الشطر الثالث فقد يتخذ القافية نفسها وقد لا يتّخذها[3]، كقول بشّار لجاريته رباب[4]:

رَبــابَــةُ ربّــةُ الــبــيــتِ	تــصــبُّ الــخــلَّ فــي الــزيــتِ
لــهــا عَــشْــرُ دجــاجــاتٍ	وديــكٌ حَــسَــنُ الــصــوتِ

أما المسمّطات فهي قصائد تتألف من أدوار، وكلّ دَوْرٍ يتركّب من أربعة شطورٍ أو أكثر، وتتّفق شطور كلّ دَوْرٍ في قافيةٍ واحدة، ما عدا الشطر الأخير. ومن الأمثلة على المسمّط المرّبع خمرية أبي نواس التي يقول فيها[5]:

سُــــلافُ دَنٍّ	كــشــمــسِ دَجْــنِ
كــدامِــعِ جَــفْــنِ	كــخــمــرِ عَــدْنِ
طَــبــيــخُ شــمــسِ	كــلَــوْنِ وَرْسِ
ربــيــبُ فُــرْسِ	حــلــيــفُ سَــجْــنِ
يــا مَــن لَــحــانــي	عــلــى زمــانــي

(1) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٢٦.
(2) الجاحظ: البيان، ١/ ٤٩.
(3) ضيف: الأدب العربي، ٣/ ١٩٧.
(4) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٥٦.
(5) أبو نواس: ديوان، ص٣٤٦.

الـلـهـوُ شـانـي فـلا تَـلُـمْـنـي

وقد تعمّد الشاعر العبّاسي البديع والاستعارة، بينما كان يأتي بها الشاعر الجاهلي عَفْوَ الخاطر. ولعلّ تأنّق الحياة العبّاسية، بتأثير حضارة الفرس، هو الذي دعا إلى تأنّقٍ في اللفظة والصورة. وكان من أبرز الشعراء الذين تعمّدوا البديع واهتموا بالصورة في شعرهم بشّار وابن هَرْمة[1] والعتّابي ومسلم بن الوليد.

فكان بشّار يميل إلى التشبيه والاستعارة ـ رغم إصابته بالعمى ـ الذي يوصله ـ أحياناً ـ إلى الإبهام والغموض. قال في إحدى قصائده[2]:

وكـأنّ رَجْـعَ حـديـثـهـا   قِـطَـعُ الـرِّيـاضِ كُـسِـيـنَ زَهْـرا
وكـأنّ تـحـتَ لـسـانِـهـا   هـاروتَ يـنـفُـثُ فـيـهِ سِـحْـرا
حَـوْراءُ إنْ نَـظَـرتْ إلـيـ   ـك سقـتْـكَ بـالـعـيـنـيـن خَـمْـرا
وتـخـالُ مـا جَـمـعـتْ عـلـيـ   ـهِ ثـيـابَـهـا ذهـبـاً وعِـطْـرا
وكـأنّـهـا بَـرْدُ الـشـرا   بِ صَـفـا ووافـقَ مـنـكَ فِـطْـرا
جـنـيَّـةٌ إنْـسِـيَّـةٌ   أو بـيـن ذاكَ أَجَـلُّ أمـرا

أمّا ابن هَرْمة فكان يكدّ في طلب الصورة ويبحث عنها، حتّى إذا وجدها أخرجها بقالَب جديد. ولهذا عُدّ ابن هرمة من أوائل المجدّدين، فقد روى إسماعيل بن جعفر عن أبيه قال: «مررتُ بابنِ هَرمة جالساً على دكّان في بني زُرَيْق فقلت: ما أقعدك ها هنا يا أبا إسحاق، فقال: قلت:

فـإنّـك واطّـراحَـكَ وَصْـلَ سُـعْـدى   لأخـرى فـي مـودّتِـهـا نـكـوبُ

ثمّ قطع بي فلم استطع أن أجوزه. فمرّت بي وصيفةٌ للحيّ قد ثقبت أذنيها وفيها خيوط عِهْن، وقد فاحتا فذرّت عليها آساً. فقلت: مالكِ ويحك يا فلانة؟ فقالت: ثقبت أذني لعرس بني فلان فأصابني ما ترى. فقلت: أفلك شنوف؟ قالت: لا. ولكّني استعرته. قال: فقلت:

كـثـاقـبـةٍ لـحَـلْـيٍ مُـسـتـعـارٍ   بـأذنـيـهـا فـشـانَـهُـمـا الـثُّـقـوبُ
فـأدّت حَـلْـيَ جـارتِـهـا إلـيـهـا   وقـد بـقـيـتْ بـأذنـيـهـا نـدوبُ[3]»

---

(1) ابن هرمة (٩٠هـ/ ٧٠٩م ـ ١٧٦هـ/ ٧٩٢م).
إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكناني. شاعر غزلٍ من سكّان المدينة، انقطع إلى الطالبيين وله شعر فيهم، وهو آخر الشعراء الذي يحتجّ بشعرهم (الزركلي أعلام، ١/ ٤٤).
(2) الأصفهاني: الأغاني، ٣/ ١٤٩.
(3) المرزباني: الموشّح، ص٣٥٠. عهن: صوف. شنوف: جمع شَنف، وهو ما يُعلّق في الأذن من الحَلْي. شانهما: ضد زانهما. ندوب: جروح.

أمام هذه التّيارات الداعية إلى قلب القديم وبناء جديد على أنقاضه، برز فريق آخر يدعو للتمسّك بالقديم وجعله المثال الذي ينبغي أن يُحتذى. وقد تزعّم بعض الشعراء هذا الاتجاه وعملوا على تصعيده، فكان منهم: مروان بن أبي حفصة، والعتّابي ومنصور النمري وغيرهم. وقد وجد هؤلاء المحافظون سنداً ودعماً من جانب الرواة واللغويين الذي تمسكوا بالقديم وأهله. فهذا ابن الأعرابي يقول عن شعر المحدثين: «إن كان هذا شعراً فما قالته العرب فباطل[1]». وإسحاق المَوْصلي الذي كان ينتصر للقدماء لا يعدّ أبا نُواس شيئاً لأنّه: «ليس على طريقة الشعراء[2]».

هؤلاء المحافظون وجدوا في القصيدة القديمة وفي أسلوب القدماء الجادَة التي يسيرون عليها، مع قبول ما تدعو حاجة العصر إليه. فهم لا يتكلّفون الصورة ولا يُسرفون في طلب البديع، ويَرَوْن أنّ الشعر أصالة وطبع، لا تكلّف في الصورة وتأنّق في اللفظ.

وقد اهتمّ هؤلاء الشعراء بالموضوعات التقليدية، فأكثروا من المديح، ونبشوا التاريخ وصوّروا الأبطال وتدخّلوا في شؤون السياسة إرضاءً للحكّام. فهذا مروان بن أبي حفصة يؤكّد حقّ العبّاسيين بالخلافة فيقول[3]:

أنّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ ... لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ

وهذا النمري يتبع مروان في قوله هذا فيقول[4]:

فإن شكروا فقد أنعمتَ فيهم ... وإلّا فالندامةُ للكفورِ

وإن قالوا: بنو بنتٍ فحقٌّ ... وردّوا ما يناسبُ للذكورُ

ويقول:

وما لبني بناتٍ مِن تراثٍ ... مع الأعمامِ في وَرقِ الزَّبُورِ

وهذا العتّابي يستشفع الرشيد في ربيعة التي أعمل فيها السيف لاعتدائها على قَيس، وقد اشتطّ في عقابه لها لمضريّته التي شارك فيها قيساً، فقال قصيدته التي مطلعها[5]:

ماذا شجاكَ بِحُوّارَيْنِ مِن طَلَلِ ... ودِمنةٍ كَشفتْ عنها الأعاصيرُ

شجاكَ حتّى ضميرُ القلبِ مُشْتَرَكٌ ... والعينُ إنسانُها بالماءِ مغمورُ

---

(١) المرزباني: الموشح، ص٣٠٤ (ط. السلفية).

(٢) نفسه؛ ص٢٦٤.

(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٠/ ١٠٠.

(٤) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ١٤٣.

(٥) الأصفهاني: الأغاني، ١٣/ ١٢٠.

حتّى يقول:

نـادتْـكَ أرحـامُـنـا الـلاتـي نَـمُـتُّ بـهـا كـمـا تـنـادِي جِـلادَ الـجـلّـةِ الـخُـورُ[1]

وقد استجاب الرشيد لندائه ورفع السيف عن ربيعة.

بهذه العُجالة حول تطوّرِ الشعر في القرن الثاني الهجري، نكون قد ألممنا ـ ولو قليلاً ـ بالاتجاهات والأساليب التي تطّور إليها هذا الفنّ في صدر العصر العبّاسي، لتكون قَبَساً لنا في دراسة شعر سَلْم الخاسر.

---

(١) الجلاد: النوق الصلاب وما غزر لبنها. الجلّة: المسانّ من الإبل.
الخور: الناقة الغزيرة اللبن.



الفصل الخامس

شعر سلم الخاسر

لم يتحدّر إلينا من شعر سلم الخاسر سوى النزر اليسير، الذي لا يقضي مَراماً ولا يشفي غليلاً؛ إذ لا يزوّدنا بصورة جليّة عن هذا الشاعر، الذي بلغ منزلة رفيعة وأصاب نجاحاً باهراً في حياته لدى الخلفاء والوزراء والقوّاد، فأكرموه عطاء وقرّبوه تقديراً، فكان من شعراء القصور ومن ندماء الكبراء والعظماء في عصره.

هذا الشاعر الذي يعتبر مقلّاً لقلّة ما وصل إلينا من شعره، لم يكن في الواقع مقلّاً؛ بل كان مكثراً وأشعاره وافرة ورائعة[1].

ويبدو لنا، أنّ جُلّ شعره فقد بعد وفاته، إذ حالت أسباب كثيرة دون وصوله سالماً إلينا. ولعلّ أبرز هذه الأسباب تلك الملابسات السياسية التي أحاطت بالحياة العباسية بعد نكبة البرامكة، فقد كان الرواة يتحرّجون من رواية الأشعار التي قيلت في مديحهم؛ علما أن سلماً كان من شعرائهم، حتى كاد ينقطع إليهم[2]. ومن جهة أخرى لم يكن لسلم راوية يحفظ شعره ويسجّل أخباره. وبالرغم من ذلك فإنّ ما سلمَ من شعره قد جُمع في ديوان بلغ مائة وخمسين ورقة، وظلّ متداولاً بين الناس حتّى سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م[3]. ولكن لسوء حظّ سلم وسوء حظّنا أيضاً لم يبقَ من هذا الديوان إلّا الشيء اليسير. ويُرجّح أنّه ضاع كغيره من الكنوز الأدبية التي فقدت خلال العصور المتعاقبة.

وهكذا، لم يصل إلينا من شعر سلمٍ سوى نِتَفٍ وقصائد قليلة حفظت في صدور الرواة وزوايا الكتب.

ومما يؤكّد ضيَاع هذا الشعر الوافر الشواهد التالية:

- البتر الواضح في معظم ما وقعنا عليه من قصائدِ سلم.
- وجود أبيات مستقلّة لا رابط بينها.

---

(١) ابن المعتز: طبقات، ص١٥٥.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء، ١١/ ٢٣٧.

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص١٦٢. غرونباوم: شعراء عباسيون، ص٩.

ـ الروايات التي تؤكّد وفرة أشعاره، خاصّة ما رواه ابن المعتزَ في طبقاته[١] والصولي في أخباره[٢].

ـ تعدّد الشخصيات البارزة التي مدحها سلم وانقطع إليها ونال عطاءها، بينما لم يصل إلينا من مديحه فيها إلّا الشيء القليل.

موقف سلم من حركة الشعر في عصره:

سبق وأشرنا، أنّ سلماً عاش في عصر اتخذت فيه حركة الشعر شكل صراعٍ حادّ بين اتجاهين من الشعراء: فريقٍ يعمل على هدم القديم لبناء جديد يتّفق مع مظاهر الحضارة العباسية الجديدة، وآخر يتمسّك بالقديم ويرى فيه القدوة والمثال. وقد احتدم الصراع بشكلٍ كان يبدو ـ لأول وهلة ـ أن لا لقاء بينهما. ولكن لدى استعراض أشعار الفريقين، نجد كلّاً منهما أخذ من الاتجاه الآخر.

لقد كان من البديهي أن يتأثّر شاعرنا بهذا الواقع وأن يتفاعل معه وينفعل به، فقد تتلمذ على بشّار زعيم المولّدين وإمام المُحْدثين، فمن بحره اغترف وعلى نمطه قال الشعر[٣]. ومن جهة أخرى فثقافته عميقة الجذور في الشعر الجاهلي، حتى كان من أدرى الناس به[٤]؛ وبين قصور بني العبّاس تنقّل وعلى عَتَبات الخلفاء والأمراء تمسّح وتكسّب.

وهكذا، نجد سلماً موزّعاً بين جديدٍ يستميله ويستعذبه وقديم يُعجب به ويدرُّ عليه العطايا والهِبات. فكيف استطاع سلم أن يوفّق بين هذه المواقفَ المتباينة، وكيف استطاع أن يوزّع نفسه هنا وهناك؟!

خصائص شعر سلم

إن موقف سلم من حركة الشعر في عصره يمكن استخلاصها من خلال دراستنا لأبرز خصائص شعره، مع الإشارة إلى أنّ هذه الخصائص لم تكن حِكْراً عليه، بل يشترك فيها العديد من معاصريه. ولعلّ أهمّ هذه الخصائص ما يلي:

ـ متانة التركيب:

إنّ شعر سلم ـ في مجمله ـ متين التركيب، فهو يحكّك شعره ويهذّبه، ولا يُخرجه للناس إلّا بعد أن تستقيم قناته وتتماسك عباراته. فهذا صاحب الأغاني يروي لنا أنّ سلماً كان يعدّ المراثي قبل موت أصحابها. وعندما قيل له: «ويحك ما هذا؟! فقال: تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعلجوننا، ولا يجعل أن نقول غير

---

(١) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٦.

(٢) الصولي: أخبار أبي تمام، ص٢١.

(٣) العبّاسي: معاهد، ص٣٧.

(٤) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٥.

الجيّد، فنعدّ لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً على أنه قيل في الوقت»[1]. فكأنّما يبغي المحافظة على ارتقاء شعره ومتانته.

ولئن كنّا نجد عنده بعض القصائد التي يخالف فيها المألوف من شعره، فهي نادرة الوقوع، وفي هذه القصائد ذاتِها نجده يلتزم حداً معّيناً من السهولة واليسر[2]. ولكنّه لا يصل إلى حدّ الركاكة والابتذال الذي وصل إليه أبو العتاهية في مثل قوله[3]:

حسبكِ مما تبتغيهِ القوتُ ... ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ!

وقوله:

الفقرُ فيما جاوزَ الكَفافا ... مَن اتّقى الله رَجا وخَافا

أو كقول أبي نواس[4]:

يا نفس توبي قبلَ أن ... لا تستطيعي أن تتوبي

واستغفري لذنوبكِ الـ ... ـرحمن غفّار الذنوب

ولا إخالني بحاجة إلى إيراد الشواهد الكثيرة على متانة شعر سلم وجزالة ألفاظه، فديوان شعره بين أيدينا. ويكفي أن نستشهد بمقطوعتين تؤكّدان هذه الخاصّة في شعره. قال في إحداهما ينشد الرشيد[5]:

حضرَ الرحيلُ وشُدّتِ الأحداجُ ... وغَدا بهنّ مشمِّرٌ مِزْعاجُ

للشوق نيرانٌ قدحن بقلبهِ ... حتّى استمرّ به الهوى المِلْجاجُ

أَزعِجْ هَواكَ إلى الذين تحبّهم ... إنّ المحبَّ يسوقهُ الإزعاج

لن يُدنيَنّكَ للحبيبِ ووصلهِ ... إلّا السُّرَى والبازلُ الهَجْهَاجُ

إنّ المنايا في السيوفِ كوامنٌ ... حتّى يُهَيجها فتىً هيَّاجُ

ومُدجّجٍ يغشى المضيق بسيفه ... حتّى يكونَ بسيفهِ الإفراجُ

نزلتْ نجومُ الليلِ فوقَ رؤوسِهِمْ ... ولكلِّ قوم كوكبٌ وهّاج

شربتْ بمكّة في ذُرى بطحائها ... ماءَ النبوّة ليس فيه مِزاجُ

وقال في مدح الفضل بن الربيع[6]:

وأينَ مَن جبر الإسلامَ يومَ وَهَى ... وٱستنقذَ الناسَ مِن عمياء صَيْخُودِ

قالت قريشٌ غداة انهاضَ مُلْكُهُم ... أين الربيعُ؟ وأعطَوْا بالمقاليدِ

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٠.
(٢) انظر القصائد: ٤٨، ٥١، ٦٥ (الديوان).
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ٣/١٣٨.
(٤) أبو نواس: ديوان، ص٢٠١.
(٥) ق/ ٩ (ديوان).
(٦) ق/ ١٦ (الديوان).

فقام بالأمرِ مئناسٌ بوَحْدتِه حلَّت يدُ الفضلِ منها كلَّ معقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضلَ قد بَنَيا رِواقَ مجدٍ على العبّاس ممدودِ

يبدو الشاعر في هاتين القصيدتين، كما يبدو في جلّ شعره، جزلَ الألفاظ، متينَ العبارة، فلا نلمح فيهما ضعفاً في التأليف، ولا خللاً في مواقع الكَلِم أو اضطراباً في النظم، بل نرى تناسق الألفاظ وسلامة التركيب وتآلف الحروف في كلماتها.

ـ الجمع بين القديم والحديث:

كانت الحياتان ـ القديمة والحديثة ـ تتجاوران في البصرة وبغداد في القرن الثاني الهجري، فتركت كلٌّ منهما أثراً في شعرائه. ولكن هذا التأثير كان متفاوتاً بين شاعرٍ وآخر. وسلمٌ، كما سبق وعلمنا، ولد في البصرة ونشأ فيها، وتلقّى ثقافتها حتّى كانَ من أعرف الناس بأشعار الجاهلية. هذه الثقافة جعلت القديم راسخاً في عقله ونفسه. ثمّ إنّ سلماً على يد بشّار المجدّد تتلمذ والشعراء المُحْدثين من الموالي جالس وعاشر، وبين قصور بغداد وحدائقها الغنّاء تنقّل وانتشى. وهو الذي لازم الحكام منذ سنة ١٦٣هـ/ ٧٧٩م حتّى وفاته، وكان مقرّباً من الخلفاء العباسيين الثلاثة ـ الهادي والمهدي والرشيد ـ.

فهل كان سلمٌ من طائفة المجدّدين أم المحافظين؟

لو استعرضنا ما وصل إلينا من شعره لوجدنا فيه الجديدَ إلى جانب القديم. ولكن هذا الجديد لم يترك أثراً فعّالاً في نفسه، فكان أشدّ ميلاً للقديم وأكثر محافظة على الطريقة التقليدية الجاهلية. ولعلّ تقرّبه من قصور الخلفاء جعله أقرب إلى المحافظين منه إلى المجدّدين.

ـ التلميح:

هو أسلوبٌ ينقلنا من بابٍ إلى بابٍ آخر ومن جوّ إلى جوٍّ آخر، فقد قال حين بويع الهادي بالخلافة، وكان في جرجان فانتقل إلى بغداد عن طريق البريد[1]:

أسرعَ في الأرضِ وقد حازَها إسراعَ ذي الريحِ سليمانِ
كانت لذاكَ الريحُ مأمورةً وذاكَ على سَفْواءَ مِذْعانِ

وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ. . .﴾[2].

وقوله في مدح صالح بن المنصور عند بناء أحد القصور[3]:

بنيتَ قصراً مُشرفاً عالياً بطائرَيْ سَعْدٍ ومسعودِ

---

(١) ق/ ٦١ (الديوان).
(٢) ص آية/ ٣٦.
(٣) ق/ ١٥.

كـأنـمّـا يـرفـعُ بـنـيـانَـهُ جِـنُّ سـلـيـمـانَ بِـن داودِ

فهو مُعجب بمتانته وسرعة بنائه، كأنّما جنّ سليمان هو الذي أدّى هذه المهمة وأقام النباء. وهذا تلميح إلى سلطة سليمان على الجنّ التي أكّدها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ. . .﴾[1].

ـ التشكيك:

ويُحسن سلم التعبير في هذا الباب، حتّى يفوق ما يتركه اليقين في النفس وذلك في قوله[2]:

تَبَدَّتْ فقلتُ: الشمسُ عند طلوعها بِجيدٍ نقيِّ اللونِ من أثَرِ الوَرْسِ
فلمّا كررتُ الطرفَ قلتُ لصاحبي على مِرْيةٍ ها هنا مَطلعُ الشمسِ!

وما علينا إلّا أن نبحث عن المواقع التي كان فيها محافظاً وتلك التي كان فيها مجدّداً، ولعلّ ذلك يتكشّف لنا من خلال العناصر التالية: الألفاظ، المعاني، الموضوعات، شكل القصيدة، الأوزان.

ـ الألفاظ:

ألفاظ سلم تبدو عليها الجزالة بصورة عامة، وهي أقرب ما تكون إلى ألفاظ الشعر القديم. فاقرأ قوله في الهادي[3]:

سـألـتُ الـديـارَ وأطـلالـهـا ومـا إن تـجـاوبُ سُـؤّالـهـا
مـنـازلُ قـد أقـفـرتْ بـعـدنـا وجـرّتْ بـهـا الـريـحُ أذيـالـهـا
وصـهـبـاء تـعـمـلُ فـي الـنـاظِـرَيْـن شـربـتُ عـلـى الـرِّيـقِ سَـلْـسَـالـهـا

أو قوله حين عقد الرشيد البيعة لابنه محمد الأمين[4]:

قـلْ لـلـمـنـازل بـالـكـثـيـبِ الأعـفـرِ أُسقيتِ غاديةَ السحابِ الممطرِ
فـهـو الـخـلـيـفـةُ عـن أبـيـه وجـدّهِ شـهـدا عـلـيـه بـمـنـظـرٍ وبـمَـخْـبَـرِ
قـد بـايـعَ الـثّـقـلانِ مَـهْـدِ الـهُـدَى لـمـحـمّـد بـن زبـيـدةَ ابـنـة جـعـفـرِ
ولـيّـتـهُ عـهـدَ الأنـامِ وأمـرهُـم فدمغتَ بالمعروفِ رأسَ المنكرِ

إنّ ألفاظ هاتين القصيدتين لا تختلف عن ألفاظ الشعراء القُدامى من الجاهليين والإسلاميين الأوائل.

ويبدو أنّ سلماً لا يميل إلى الشعبيّة في ألفاظه، فقد أخذ على أبي العتاهية

(١) النمل آية/ ١٧.
(٢) الثعالبي، الثمار، ص٤٦.
(٣) ق/ ٥٤ (الديوان).
(٤) ق/ ٣٠ (الديوان).

سُوقية ألفاظه، فها هو يقول له بعد أن أسمعه بعض شعره: «لقد جوّدتها لو لم تكن ألفاظها سُوقية»، فيردّ عليه أبو العتاهية قائلاً: «والله ما يرغّبني فيها إلّا الذي يزّهدك فيها»(١). فهذه الرواية تشير بصراحة إلى «اراستقراطية» اللفظة عند سلم، والتي لا يرغب أن ينزل بها إلى الشعبية والسوقية.

ولكنّ بيئة الحياة العباسية الجديدة فرضت عليه استعمال ألفاظ جديدة في شعره، فقد قال في مدح الهادي(٢):

بعيسا باذ حرٌّ من قريشٍ ... على جَنباتِه الشَّرْبُ الرَّواءُ

فقد اضطر لذكر اسم هذه المحلّة التي تنسب لعيسى بن المهدي. كما قال في رثاء المنصور(٣):

أين ربُّ الزوراءِ قد قلَّدَتهُ الـ ... ـمُلْكَ عشرون حجَّةً واثنتانِ

الزوراء من أسماء مدينة السلام الجديدة.

وفي رثاء معن بن زائدة يقول(٤):

ذاكَ معنٌ ثَوى ببُسْتَ رهيناً ... وشهابٌ ثوى بأرض عُمَانِ

وبُسْت مدينة أعجمية بالقرب من سجستان.

ومن الألفاظ التي اضطر لإدخالها في شعره قوله(٥):

إنّا لنأمُلُ فتحَ الرومِ والصينِ ... بمَن أذلَّ لنا من مُلْكِ شزوينِ

وهذه الألفاظ وأمثالها من نتاج الحياة العباسية والتي لم يألفها الشعراء في العصور السالفة.

ـ المعاني:

إنّ جلّ المعاني التي جاء بها سلم كانت قديمة مألوفة. فاقرأ قصيدته في مدح المهدي تجدها تَعْبَقُ برائحة البادية، كأنّها جاهلية اللحم والدم ـ فمن سُكر المُدام، إلى البُرى التي تُوضع في أنوف الإبل، إلى أسراب الفَلا، فوخد النعام، فأخفاف الجمال، كما لا ينسى الناقة الزفوف في سيرها. هذه الألفاظ وما في طيّاتها من معانٍ ليست من حياة بغداد العباسيين، إنّها تمثّل البادية بطيرها وحيوانها وشَظَف العيش فيها. ولكن هم الخلفاء الذين يُعجبون بتلك الصحراء التي أنجبت صاحب الرسالة التي باسمها يحكمون وبفضلها على الأرائك يتّكئون.

---

(١) الأصفهاني: الأغاني، ٣/١٦٧.
(٢) ق/٢ (الديوان).
(٣) ق/٦٣ (الديوان).
(٤) ق/٦٤ (الديوان).
(٥) ق/٦٦ (الديوان).

إنّ هذه المعاني تزدحم في كثير من قصائد سلم، ولا تخلو منها قصائده التي يبدو فيها مجدّداً. قال يمدح عاصم بن عتبة الغسّاني[1]:

لـعـاصـم سـمـاءٌ عـارِضُـهـا تَـهْـتـانُ
أَمـطـارُهـا الـلُّـجَـيْـنُ والـدرُّ والـعِـقْـيـانُ

ثمّ يقول:

ونـارُه تـنـادِي إذا خَـبَـت الـنـيـرانُ
الـجـودُ فـي قـحـطـانِ مـا بـقـيـتْ غـسّـانُ

وليس غريباً أن يُدخل هذه المعاني في مديحه لهذا القائد العربي الأصيل، إذ أنّ سلماً يُراعى مقتضى الحال وما يجلب له الهِبات والمال.

ولكن هذا لا يعني أنّ سلماً لم يجدّد في معانيه، فقد جدّد وابتكر، وفتّق وأصاب في مواقع كثيرة؛ فدخل أعماق النفس الإنسانية وعبّر عن خَلجات الآخرين من خلال ما يبدو على ملامحهم من علامات وأمارات. وهذا مظهر من مظاهر التعمّق النفسي، كما أنّه وليد عقلية مركّبة لا ساذجة بسيطة.

ومن الشواهد على ذلك قوله في مدح الفضل بن يحيى[2]:

ولـيـس بـسـعّـالٍ إذا سِـيـلَ حـاجـةً ولا بمُكبٍّ في ثَرى الأرضِ ينكُتُ

أو عندما يقول[3]:

لا تـسـألِ الـمـرءَ عـن خـلائـقـه فـي وجـهـهِ شـاهـدٌ عـن الـخـبـرِ

ولا أحسب أحداً سبقه إلى معنى جميل يصوّر فيه بكاء حبيبته تأنيباً له، وأنّ عينيه إذا استحسنت سواها سيؤدّبها بدموعه، حين يقول[4]:

أَتـتـنـي تـؤنـبـنـي فـي الـبـكـاءِ فـأهـلاً بـهـا وبـتـأنـيـبـهـا
تـقـول: وفـي قـولـهـا حـشـمـةٌ أتـبـكـي بـعـيـنٍ تـرانـي بـهـا؟
فقلت: إذا استحسنَتْ غيركُمُ أمـرتُ الـدمـوعَ بـتـأديـبـهـا

ومن المعاني الشائعة التي يدور شعره حولها مدحه للعباسيين وتأكيد حقّهم في الخلافة. فهم الأئمّة، وهم أصحاب الحقّ الذي لا يُردّ.

قال في المهدي[5]:

قـل لـلإمـام الـذي جـاءَتْ خِـلافـتُـهُ تُـهـدى إلـيـه بـحـقّ غـيـرِ مـردودِ

---

(١) ق/٦٥ (الديوان).
(٢) ق/٨ (الديوان).
(٣) ق/٢٩ (الديوان).
(٤) ق/٧ (الديوان).
(٥) ق/١٧ (الديوان).

ويجعل من الهادي خير بني هاشم في قوله[١]:

لـمّـا أَتـت خـيـرَ بـنـي هـاشـمِ   خــلافــةُ الله بـــجُـــرجـــانِ

وإذا عقد الرشيد البيعة لابنه، بايعه الإِنس والجنّ[٢].

الموضوعات والأبواب التي طرقها

لا نستطيع أن نزعم أنّ سلماً ابتكر موضوعاً جديداً في الشعر، فمعظم قصائده تدور في فلك الأغراض التي سبقه إليها الشعراء، من مدح ورثاء ووصف وغزل وهجاء، وغيرها من الموضوعات المألوفة. ولكن رغم أنّ موضوعاته تقليدية قديمة إلّا أنه جدّد في هذه الموضوعات ذاتِها. ففي المديح الذي استغرق أكثر شعره، يبدو مجدّداً في هذا الباب، إذ نراه متكسّباً يبيع بالدرهم والدينار. وهو مِلحاح في طلبه، ولا يَرْبأ بنفسه أن يطلب جائزة استحقّها برثاء المهدي.

قال يذكّر الرشيد بذلك[٣]:

أرى المائةَ ألفاً صادقاً قد وُعِدْتُها   لـمـرثـيّـةِ الـمـهـديِّ غـيـرَ كـثـيـرِ

ولـو غـيـرُ هـارونٍ يـجـودُ بـوعـدهـا   لـمـا عُـجْـتُ مِـن مـوعـودهِ بـنـقـيـر

شبيهُ أبيهِ في السماحةِ والنّدى   فإنْ قـالَ لـم يـأخـذْ بـحـبـلِ غُـرورِ

فهو يحدّد الثمن ولا يستكثره، فكأنّما يطالب بدَيْنٍ وجب أداؤه!

وفي باب الهجاء نجد جديداً عند سلم. فهذا الفحش في القول مظهرٌ لم يعهده شعراء العصر القديم، إنّه أثرٌ من آثار حضارة العجم في قلب العرب. قال في مهاجاته لوالبة بن الحُباب[٤]:

يـا والـبَ بـن الـحُـبـابِ يـا حَـلَـقـي   لـسـتَ مـن أهـلِ الـزِّنـاءِ فـانـطـلـقِ

تُـدخـلُ فـيـهِ الـغُـرمـولَ تُـولـجُـهُ   مثل وُلـوجِ الـمـفـتـاحِ فـي الـغَـلَـقِ

ولعلّنا نلمح جديداً آخر في شعر سلم ـ إنّه النَّفَس الشُّعوبي الذي يتخلّل بعض قصائده، فهو يحاول أن يسلب العرب مزايا شهروا بها لينثرها على برامك العجم. قال في مديح هؤلاء الأعاجم[٥]:

وكـــيـــف تـــخـــافُ مِـــن بُـــؤسٍ   تـكَـنـفـهـا الـبـرامـكـةُ الـبُـحـورُ

وقـومٌ مـنـهـمُ الـفـضـلُ بـن يَـحـيـى   نـــفـــيـــرٌ مـــا يُـــوازنـــهُ نـــفـــيـــرُ

---

(١) ق/ ٦١ (الديوان).
(٢) ق/ ٣٠ (الديوان).
(٣) ق/ ٣١ (الديوان).
(٤) ق/ ٤٠ (الديوان).
(٥) ق/ ٢٠ (الديوان).

حتى يقول:

إذا ما البرمكيُّ غَدا ابنَ عَشْرٍ فهمّتهُ وزيرٌ أو أميرُ

ثمّ يزداد في تطاوله، فيرى أنّ بقاء الدين والدنيا للمسلمين رهنٌ ببقاء يحيى بن خالد وزيراً للخليفة، ويصبّ على هذا البرمكي من الصفات الحميدة ما لا يعطيه للخليفة نفسه.

ـ الأوزان:

لدى استعراضنا لقصائد سلم ومقطوعاته التي وصلت إلينا، نجد جُلّها من البحور التقليدية القديمة: كالطويل، والكامل، والوافر، وغيرها، ومع ذلك نراه يحاول ـ أحياناً ـ اللجوء إلى البحور القصيرة الرشيقة، فينظم في مجزوء الكامل قصيدته في يحيى بن خالد التي مطلعها[1]:

وفتًى خلا مِن مالِه ومِن المُروءةِ غيرُ خالِ

كما نجده يلجأ إلى مجزوء الوافر في مديحه للفضل بن يحيى في عيد نَيْروز بقصيدته[2]:

أَمِن رَبْعٍ تُسائِلُه وقد أَقْوَتْ منازِلُهُ

كما يستخدم الرجز في قصيدة أخرى، منها[3]:

لِعاصِمٍ سماءُ عارِضُها تَهْتَانُ

ومما هو جديرٌ بالذكر أنّ استعماله للبحور القصيرة كان محدوداً، إذا ما قِيس بمعاصريه من المولّدين الذين أسرفوا في ذلك.

ولكنّ سلماً ابتكر جديداً في الأوزان لم يُسبق إليه. يقول ياقوت: «إنّه ذُكر من اقتدار سلم الخاسر على الشعر أنّه اخترع شعراً على حرفٍ واحد، ولم يُسبق إلى مثل ذلك، لأنّ أقلّ الشعر على حرفين كقول دُرَيْد بن الصمّة:

يا ليتني فيها جذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ

فقال سلم الخاسر لأمير المؤمنين موسى الهادي شعراً على ضربٍ واحدٍ، منه[4]:

موسى المطَرْ، غيثٌ بَكَرْ ثمّ انهمر، لمّا اعتفَرْ
ثمّ غَفَرْ، لمّا قَدَرْ ثم اقتصرْ، عدلَ السِّيَرْ

---

(١) ق/٤٨ (الديوان).
(٢) ق/٥١ (الديوان).
(٣) ق/٦٥ (الديوان).
(٤) ق/١٨ (الديوان).

بـاقـي الأثَـرْ، خـيـرُ الـبـشـرْ   فَـرْعُ مُـضَـرْ، بَـدْرٌ بَـدَرْ
لِـمَـنْ نَـظَـرْ، هـو الـوَزَرْ   لِـمَنْ حـضَـرْ، والْـمُـفْـتَـخَـرْ

ويقول ابن رشيق: «إنّ أوّل من ابتدع ذلك سلم الخاسر، والجوهري يسمّي هذا النوع المُقَطّع، وقد رأى قومٌ أنّ مشطور الرجز ليس بشعر كقول النبيّ محمّد ﷺ[1]:

هـل أنـتِ إلّا إصـبـعٌ دُمـيـتِ   وفـي سـبـيـلِ الله مـا لَـقـيـتِ

نهج القصيدة العام

إنّ معظم قصائد سلم التي تمكّنا من جمعها من مصادرها مبتورة من خواتيمها أو مطالعها أو فقد ما بينهما. وفي بعض الأحيان نجد هذه القصائد لا تتجاوز بيتاً واحداً أو بضعة أبياتٍ ليس غير.

ولكن لحسن الحظّ فقد وجدنا عدداً قليلاً من تلك القصائد كاملة أو شبه كاملة. ومن خلال هذا القليل يمكننا التعرّف إلى نهج قصيدته.

يبدو أنّ سلماً يميل إلى المطالع التقليدية القديمة، حيث يستهلّ كثيراً من قصائده بمخاطبة المنازل والكثبان والدعوة لها بالسحاب الممطر، أو بتحيّة الطُّلول التي عَفَت عليها الرياح، أو بمساءَلة الربوع التي أقوت من ساكنيها والمنازل التي أقفرت من أهاليها[2]. هذه المطالع تستهوي سلماً وترضي ممدوحيه من الخلفاء. ففي إحدى قصائده التي يمتدح بها المهدي نراه يطيل مقدّمته، ثمّ يرحل إلى ممدوحه على ناقةٍ شملّة وَجْناء، شأنه في ذلك شأن شعراء البادية، وبعدها يتخلّص إلى مدح أمير المؤمنين محمّد خير الأنام الذي ينتسب إلى قريش الكرام[3].

وأحياناً أخرى يستهل قصيدته بالنسيب، كما فعل في مدحه لعمر بن العلاء بقصيدةٍ مطلعها[4]:

قـد عـزّنـي الـداءُ فـمـا لـي دَواء   مـمّـا أُلاقـي مِـن حِـسـان الـنـسـاء

وفي حالات غيرها، نجده يتمرّد على نهَجْ القصيدة التقليدي، فيباشر المديح دون تقديم أو تخلّص. وهذا ما فعله في مديحه ليحيى بن خالد في قوله[5]:

بـقـاءُ الـدِّيـن والـدُّنـيـا جـمـيـعـاً   إذا بـقـيَ الـخـلـيـفـةُ والـوزيـرُ

أمّا إذا كان غاضباً فإنّه يهجو بسرعةٍ دون التقّيد بهذه القواعد وتلك الأحكام، كما نراه في هجائه لأبي العتاهية، قال من السريع[6]:

مـا أقـبـحَ الـتـزهـيـدَ مِـن واعـظٍ   يُـزهّـدُ الـنـاسَ ولا يـزهَـدُ!

---

(1) ابن رشيق: العمدة، ١/ ١٨٥.
(2) ق/ ٥١ (الديوان).
(3) ق/ ٥٦ (الديوان).
(4) ق/ ١ (الديوان).
(5) ق/ ٢١ (الديوان).
(6) ق/ ١١ (الديوان).

وهكذا، نجد شاعرنا يتنقّل بين المطالع المختلفة، تارةً يقلّد القُدامى ويحذو حذوهم، وطوراً يتمرّد فيجدّد كغيره من معاصريه. ولكن يمكننا القول باطمئنان: إنّ القصيدة عند سَلْم أقرب إلى القدامى منه إلى المُحْدثين. فهو يعيش في بغداد العباسيين، وفي كُنَف الدُّور والقصور، ومع ذلك إذا مدح الهادي خاطب الديار والأطلال وتخلّص إلى الخمر والغانيات، كقوله[1]:

سألتُ الديارَ وأطلالها ... وما إن تُجاوِبُ سُؤَّالَهَا
منازلُ قد أقفرت بعدنا ... وجرّتْ بها الريحُ أذيالَها
وقد كنت للكأسِ والغانياتِ ... إذا هجرَ القومُ وُصَّالَهَا

أمّا في مديحه للرشيد فهو أشدّ تمسّكاً بالمطالع القديمة، لأنّ الرشيد نفسه كان يميل إلى القدماء ويشجّع من يحذو حذوهم[2].

وإذا مدح الفضلَ البرمكيّ، وفي عيد نَيْروز العجم، يبدأ بذكر المنازل والربوع التي أَقْوَت من ساكنيها، كما لا ينسى هوى الأطلال وذكرياتها، حين يقول[3]:

أَمِنَ رَبْعٍ تسائلُه ... وقد أقوت منازلُهُ
بقلبي مِن هوى الأطلا ... لِ حُبٌّ ما يُزايِلُهُ
رُوَيْدكُم مِن المشغو ... فِ إنّ الحبّ قاتلُهُ

ـ جمال اللفظ والمعنى في شعر سَلْم:

لم يكن سلم مغالياً في نِشْدان الجمال اللفظي والمعنوي عن طريق البديع، فلم يُكثر من استعمال هذه المحسّنات. ولكن نجده بين الفَيْنَة والأخرى يسعى وراءها، ليلّون بها صوره الشعرية. قال في إحدى قصائده[4]:

قد عزّني الداءُ فما لي دَواء ... مما أُلاقي من حِسان النساء
قلبٌ صحيحٌ كنتُ أسطو به ... أصبحَ مِن سَلْمى بداءٍ عَياء
أنفاسُها مِسْكٌ وفي طَرْفها ... سِحْرٌ وما لي غيرُها مِن دَواء
وَعَدتِني وعداً فأوفي بهِ ... هل تصلحُ الخمرةُ إلّا بماء؟

فمن خلال هذه الأبيات القليلة نستشفّ ولَعَه في البديع أحياناً، فنجده في البيت الأوّل يعمد إلى التجنيس بين «الداء والدواء»، ثمّ يعمد إلى الترصيع بين «دواء والنساء». وفي البيت الثاني يلجأ إلى التشخيص فيجعل من قلبه شخصاً

(1) ق/ ٥٤ (الديوان).
(2) انظر: ق/ ٩، ٣٠، ٥٦.
(3) ق/ ٥١ (الديوان).
(4) ق/ ١ (الديوان).

يسطو به على قلوب العذارى، وفي الشطر الثاني يُزاوج بين اللفظتين المتجاورتين «داء وعياء». أمّا في البيت الثالث فيبدو ولعه بالاستعارات التي يقبلها الذوق وترتاح إليها النفس. ويستمرّ في لُعَبه الفنّية، فلا يترك بيتاً خالياً منها، ففي البيت الرابع يُخرج الكلام على خلاف مقتضى الحال، فيلجأ إلى أسلوب تجاهل العارف، عندما يتساءل «هل تصلح الخمرة إلّا بماء؟»، فقد تجاهل هذه الحقيقة ليزيد الرغبة في مزجها والتلذّذ بطعمها.

ومن الاستعارات الجميلة التي وردت في شعر سلم قوله[1]:

إذا نزلَ الفضلُ بن يحيى ببلدةٍ   رأيتَ عُشْبَ المكارم ينبتُ

فالفضل كالغيث الذي ينزل من السماء فيهيج الزرع وينبت العشب، وإذا ما نزل الفضل ببلدةٍ نبت عشب المكارم واخضلّ.

وقال أيضاً[2]:

إنّ المنايا في السيوفِ كوامِنٌ   حتّى يهيّجها فتىً هيّاجُ

ومن استعاراته الموفّقة قوله في الهادي[3]:

وليس خلقٌ يرى بدراً وطلعتَهُ   مِن البريّةِ إلّا ذلّ أو خَضَعا

فالناس إذا ما ظهر بدر السماء حَنَوْا رؤوسهم إعجاباً وتعظيماً، وإذا ما ظهر الهادي في الأرض فإنّهم يلوون أعناقهم ذلاً وانكساراً.

ولا يقلّ عنه روعةً قوله[4]:

يرمي العجاج بها أغرّ محُجّلٌ   جعلَ السيوفَ مناكِحاً وطَلاقا

فهذا الفارس المقدام إذا نزلَ المعركة ممتطياً جواده فإن السيوف ستحسم الأمر وينتصر على خصومه، وإذا بنسائهم سبايا لجنده، فيكون النكاح والطلاق. ولعلّه كان أبعد غَوْراً، فالسيوف في رقاب الأعادي تطلّق الأرواح من الأجساد!

ـ التشبيه:

يعمد سلم في ابتكار الصورة الشعرية إلى التشابيه المختلفة، لينقل إلينا وصفاً لا يقلّ روعةً عن تشابيه معاصريه من الشعراء، ولكن ما يقلّل من روعتها عدم اكتمالها لفقدان أبياتٍ سابقة أو لاحقة.

---

(١) ق/ ٨ (الديوان).
(٢) ق/ ٩ (الديوان).
(٣) ق/ ٣٨ (الديوان).
(٤) ق/ ٤٢ (الديوان).

قال في وصف الإبل وقد أصابها الكلل فتقوّست ظهورها فهي كالأهلّة في أبكارها[1]:

وكأنهنّ من الكَلالِ أَهِلّةٌ ... أو مثلهنّ عطائف الأقواسِ

فقد انتزع صورةً من السماء فأعطاها لحيوان الصحراء وقد أضناه بُعْد السفر. ثمّ يكرّر الصورة ذاتها في وصف الفرس، فهي كالإبل عند كَلالها، وقد أصبحت كالأهلّة في أواخر الشهور، فكأنّما يبغي أن يقول: إنّها شديدة التقوّس والانحناء[2].

ومن تشابيهه قوله في الهادي[3]:

ألا ترى أمّة الأميّ واردةً ... كأنّها من نواحي البحرِ تغترفُ

من راحَتَيْ ملكٍ قد عمّ نائِلُهُ ... كأنَّ نائلَهُ من جُوده سَرَفُ

فقد شبّه الهادي بالبحر، وأمّة الإسلام تغترف من يمٍّ لا ينْضُبُ، وعطاؤه عمَّ الناس حتّى ظُنّ سرَفًا.

إنّ هذه التشبيهات، وأمثالها كثير، تدلّ على قدرة سلم على التشبيه دون تكلّفٍ أو ابتذال.

ومن الأمثلة على ولعه ـ أحياناً ـ بالمحسّنات اللفظية ما جاء في قصيدته التي يمدح فيها يحيى بن خالد، والتي يقول فيها[4]:

كلا يوميكَ مِن نفعٍ وضُرٍّ ... يحوطُ حِماهما كَرمٌ وخيرُ

وأنت العزُّ في حربٍ وسلم ... يُضافُ إلى مناقبكَ الظهورُ

عرفتَ الدهر مِن خيرٍ وشرٍّ ... فكلُّ الرأي أنتَ به خبيرُ

ولستَ مجازياً بالضِّغنِ ضِغناً ... ولو أبدى المظاهرةَ الظهيرُ

فكلّ الناسِ بين غِنىً وعفوٍ ... لديكَ، كِلاهما دَرٌّ درورُ

حملتَ فوادحَ الأعباءِ عنّا ... عن الإسلام إن شكرَ الشكورُ

وأجزلُ ما يكونُ الدهرُ رأياً ... إذا عَمِيَ المُشاورُ والمشيرُ

هذه الأبيات تعجّ بالصنعة اللفظية، ولا يخلو بيتٌ من التأنّق في طباق وجناسٍ وازدواج. ولكن هذه الصناعة لا تمجّها النفس، بل تستعذبها وترتاح إليها. ويعلّق ابن رشيق على ذلك فيقول: «فأنت ترى كيف موقع هذا الشكّ من اليقين، وكيف حلاوته في الصدر وقبوله! فإنّه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ»[5].

ـ المبالغة:

المبالغة ظاهرة اجتماعية عرفتها جميع الأمم، ولكن بمقادير متفاوتةٍ، إذ هي

---

(١) ق/ ٣٥ (الديوان).

(٢) ق/ ٤ (الديوان).

(٣) ق/ ٤٠ (الديوان).

(٤) ق/ ٢١ (الديوان).

(٥) ابن رشيق: العمدة، ٣/ ٦٧.

رَهْنٌ بالأوضاع السياسية والاجتماعية، وقد تكون تعبيراً عن حالةٍ نفسية تعيشها الأمّة لسببٍ أو لآخر، فلا تستطيع التعبير عن ذاتها صدقاً، فتعمد إلى اللفّ والدوران والمبالغة في وزن الأمور.

أمّا بالنسبة للفرد فقد تكون حصيلة شعور هذا الإنسان بالنقص والضّعة، أو تزلّفاً لغايةٍ في نفسه، أو إرضاءً لسلطانٍ يُدغدغه جنون الكبرياء.

ولعلّ بعض هذه الحالات أحاطت بسلم وبمجتمعه، فمن جهةٍ كان من الموالي الذين يشعرون في قرارة نفوسهم بالضعة وعدم التكافؤ، ومن جهةٍ أخرى فبعض الحكّام يستعذبون أن يُكال لهم المديح بغير مكيال. وأخيراً، فمن أجدر بسلمٍ، متزلّفاً متكسّباً، بمثل هذه المبالغات في المديح؟

فمن مبالغاته قوله للمهدي[1]:

وخيارُ مَن وَطِئَ الحصَى ... مِن بين كَهْلٍ أو غلامِ

فضلَ الملوكَ محمّدٌ ... فضلَ الحلالِ على الحرامِ

والمنصور بهيبته ورهبته أخاف الإنس والجان، حين يقول[2]:

حين دانَتْ له البلاد على آلـ ... ـعَسْفِ وأغضَى مِن خَوْفِه الثّقلانِ

حتّى في رثائه للبانوكة بنت المهدي يبكيهما معاً[3]:

بكتْ لكِ الأرضُ وسُكّانُها ... في كلّ أفقٍ بين إنسٍ وجانِ

ـ عدم استواء شعره:

لاحظنا ـ من خلال بحثنا في شعره ـ أنّ سلماً جمع بين الجزالة والسهولة؛ الجزالة نجدها في شعره التقليدي، خاصّة في مدح الخلفاء، والسهولة نجدها في الغزل والرثاء. وقد اختلف في تقدير شعره، فالجاحظ يعدّه من المطبوعين المجيدين[4]، ويتّفق معه في ذلك ابن المعتزّ[5] وصاحب الأغاني[6] والسمعاني[7] وغيرهم. ويضعه المرزباني في طبقة مروان بن أبي حفصة، حينما يقول: «وإنّما مروان من أقران سلم[8]». وصاحب العمدة يجعله في طبقة بشّار[9]. أمّا أبو عبيدة بن معمر فيقول: «كان سلم الخاسر لا يُحسن أن يمدح، ولكّنه يحسن أن يَرثي ويسأل[10]».

---

(1) ق/ ٥٦ (الديوان).
(2) ق/ ٦٣ (الديوان).
(3) ق/ ٦٠ (الديوان).
(4) الجاحظ: البيان، ١/ ٧٣.
(5) ابن المعتز: طبقات، ص١٠٠.
(6) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٤.
(7) السمعاني: الأنساب، ص١٨٥.
(8) المرزباني: الموشح، ص٣٩٢ (ط. السلفية ـ القاهرة).
(9) ابن رشيق: العمدة، ١/ ٨٣.
(10) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٠.

ومن الناقدين المعاصرين، يقول شوقي ضيف: «إنّه لم يكن يحسن الهجاء. وشعره يؤكّد أنّ المدح لم يترك فيه بقيّة لفنٍّ سواه، وأشعاره مليئة بالرشاقة والعذوبة والنعومة»[1].

ونحن نرى أنّ سلماً، شأنه شأن غيره من الشعراء، له محاسنه وله معايبه. فقد رأينا كثيراً من روائعه. ولكن في الوقت ذاته نجد عنده بعض الهفوات والسقطات. ففي المديح الذي شُهر به وأجاد، نراه يُخطىء ويسيء إلى الممدوح، وذلك في قصيدته التي مطلعها[2]:

حـيِّ الـمـنـابـرَ بـالـسـلام　　　أَعَـلـى وَداعٍ أو لـمِـام
لـم يـبـق مـنـك ومـنـهُـم　　　غـيـرُ الـجـلـودِ عـلـى الـعـظـامِ

فهذا المطلع لا يناسب هذا المقام، ولا يلبّي رغبة الممدوح. فقد تشاءم منه الرشيد وطرده من مجلسه. فيروي لنا صاحب الأغاني أنّ سلماً دخل على الرشيد فأنشده: حيِّ الأحبّة بالسلام. فقال الرشيد: حيّاهم الله بالسلام. فقال: أعلى وَداعٍ أم مُقام. فقال الرشيد: حيّاهم على أيّ ذلك كان. فأنشده:

لـم يـبـقَ مـنـك ومـنـهـمُ　　　غـيـرُ الـجـلـودِ عـلـى الـعـظـامِ

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه وتطيّر منه ومن قوله، فلم يسمع له باقي الشعر، ولا أثابه بشيء[3].

ومن معايبه الشعرية استعارته الرديئة في رثاء الهادي[4]:

لـولا الـمـقـابرُ ما حـطَّ الـزمـانُ بـهِ　　　لا بـل تَـولّـى بـأنـفٍ كَـلْـمُـهُ دامـي

وقد عابه ابن المعتّز على هذه الاستعارة فقال: «هذا رديءٌ كأنّه من شعر أبي تمّام الطائي[5]».

سلم بين التقليد والابداع

كان بشّار قد قال:

مَن راقبَ الناسَ لم يظفر بحاجته　　　وفاز بالطّيباتِ الفاتِكُ اللّهجُ

فأخذ سلم هذا المعنى، وجاء به في أجود من ألفاظه وأفصح وأوجز، فقال[6]:

مـن راقـبَ الـنـاسَ مـاتَ غـمّـاً　　　وفـازَ بـالـلّـذة الـجـسـورُ

---

(١) ضيف: تاريخ الأدب العربي، ٣/ ٣٠٤.
(٢) ق/ ٥٦ (الديوان).
(٣) الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٠، ٢٤١.
(٤) ق/ ٥٧ (الديوان).
(٥) الآمدي: الموازنة، ص١٤٣.
(٦) ق/ ٢٤ (الديوان).

وفعلاً، فقد كان بيته كما وصفه ابن المعتز، إذ أنّ بشاراً نفسه، حينما قال بيته، كان يقول: «ما سبقني أحدٌ إلى هذا المعنى، ولا يأتي بمثله أحد». فلمّا قال سلم هذا البيت، وبلغ ذلك بشّار قال: «أوخ، ذهب والله بيتي[(١)]».

ويعقب ياقوت على ذلك فيقول: «وكان الأمر كذلك. لهج الناس ببيت سلم، ولم يُنشد بيت بشّار أحدٌ[(٢)]».

ويرى ابن رشيق أنّ سلماً اختصره لطيفاً، استوجبه به. وكذلك صاحب الشروح، فبالرغم من أنّه يورده في باب السرقات الشعرية، إلّا أنه يرى أنّ كلام السارق أبلغ من كلام المسروق منه، وهو ممدوح[(٣)].

ونحن لا نرى رأي الدكتور أحمد رفاعي، بأنّ عمل سلمٍ كان مَسْخاً لبيت بشّار[(٤)]، لأنّه جوّده وحسّنه.

ومن المعاني التي أخذها عن سابقيه من الشعراء، قوله[(٥)]:

فَأَنتَ كالدهر مبثوثاً حبائلهُ ... والدهرُ لا ملجأٌ منهُ ولا هَرَبُ
ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أصرفهُ ... في كلّ ناحيةٍ ما فاتكَ الطلبُ

وكان قد سبقه إلى هذا المعنى النابغة الذُبياني، حين يقول مخاطباً النعمان:

فإنّك كالليل الذي هو مُدركي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأَى عنكَ واسِعُ

فأخذ هذا المعنى عن الفرزدق، فقال:

فلو حملتني الريحُ ثمّ طلبتني ... لكنتُ كشيءٍ أدركتهُ مقادِرُه

وأخذه أيضاً الأخطل بقوله:

وإنّ أميرَ المؤمنين وفعلَه ... لكالدهرِ لا عارٌ بما فعلَ الدهرُ

ويعلّق الباقلّاني على ذلك فيقول: وقد رُوي نحو هذا عن النبي ﷺ: «نُصرت بالرعب وجُعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وَلَيَدْخُلَنّ هذا الدين على ما دخل عليه الليل[(٦)]».

وقد أولع الشعراء بهذا المعنى على كثرة تَرْداده. فهذا ابن جبلة[(٧)] يقول:

وما لامرىءٍ حاولتَهُ عنكَ مهربٌ ... ولو كان في جوفِ السماءِ المطالعُ

---

(١) ابن المعتز: الطبقات، ص١٠٠.
(٢) ياقوت: معجم الأدباء، ١١/ ٢٣٨.
(٣) التفتازاني: شروح، ٤/ ٤٨٥.
(٤) رفاعي: عصر المأمون، ص٣٤٩.
(٥) ق/ ٥ (الديوان).
(٦) الباقلاني: الإعجاز، ص٤٠.
(٧) ابن جبلة: علي بن جبلة (العكوّك) ١٦٠هـ/ ٧٧٧م - ٢١٣هـ/ ٨٢٨م). شاعر عراقي مجيد، من أبناء الشيعة الخراسانية، كان من أحسن الناس إنشادا (الزركلي: أعلام، ٥/ ٧٥).

بَلى، هاربٌ لا يهتدي لمكانِه ظلامٌ ولا ضوءٌ مِن الصبحِ طالعُ

وقال البحتري[1]:

ولو أنّهم ركبوا الكواكبَ لم يكنْ يُنجّيهم مِن خوفِ بأسكَ مهربُ

ومن المعاني التي اختلف فيمن أخذها عن غيره، قول سلم الخاسر[2]:

لا تسألِ المرءَ عن خلائقهِ في وجههِ شاهِدٌ عن الخبرِ

يقول الخفاجي: إنّه أخذ هذا المعنى من نُصَيْب[3] في قوله[4]:

وإذا جهلتَ مِن امرئٍ أعراقَهُ وقديمَهُ فانظر إلى ما يصنعُ

أمّا أبو إسحاق القيرواني فيرى أن هذا الشاعر أخذ هذا المعنى من سَلْم الخاسر[5]. ويرى رأيه الجهشياري[6].

ويُلاحظ أنّ اعتذار سلم الخاسر للمهدي شبيهٌ ـ إلى حدٍّ ما ـ باعتذار النابغة الذُّبياني للنعمان. فأحشاؤه تضطرب كما اضطربت نفس النابغة من قبلُ، وهو يفديه ببني حوّاء، ويحذِّره من الواشين والكاذبين. ثم يُقسم اليمين الصادق، كما حلف سلفه، ليرفع الرِّيبة من نفس النعمان.

ولكن لا نستطيع أن نزعم أنّ سلماً قد بلغ منزلة النابغة في فنّ الاعتذار، فالبون شاسعٌ بينهما، إذ لم يكن سلم إلّا مقلّداً لبعض معاني النابغة. وما وصل إلينا من شعره في هذا الباب لا يعدو أبيات محدودة.

وكما أخذ شاعرنا عن غيره من الشعراء، فقد فتّق كثيراً من أبكار المعاني التي أُعجب بها الشعراء فأخذوها عنه.

قال سلم في وصف الفرس[7]:

تخالُه مستقبلاً مقعياً حتّى إذا استدبرته قلت: أكبّ

وهو على إرهافِه وطيّهِ يقصُرُ عنهُ المَحْزِمانِ واللببُ

فأخذ عليّ بن جبلة هذا المعنى، فقال في وصف الفرس[8]:

تحسبهُ أَقْعَدَ في استقبالِهِ وَهْوَ إذا ٱسْتَدْبَرْتَهُ قلتَ: أكبّ

---

(1) الباقلاني: إعجاز، ص٤٠. (2) ق/ ٢٩ (الديوان).

(3) نصيب الأصغر (٠٠٠ ـ نحو ١٧٥هـ/ ٧٩١م). مولى المهدي، وكان شاعراً مجيداً (الزركلي: أعلام، ٨/ ٣٥٦).

(4) الخفاجي: طراز المجالس، ص١١٥. (5) القيرواني: زهر الآداب، ٣/ ٢٧٩.

(6) الجهشياري: الوزراء والكتّاب، ص٢٠٣. (7) ق/ ٤ (الديوان).

(8) الجراح: الورقة، ص١٠٨.

ولم يكتفِ العَكَوّك بمعنى سلم، بل استعار ألفاظه أيضاً.

ويقول المبّرد: إنّ أبا نواس أخذ عنه معنىً، ولكّنه حسّنه. فقد قال سلم:

سَقتني بعينيها الهوى وَسَقَيْتُها فدبَّ دبيبَ الخمرِ في كلّ مَفْصلِ

فأخذ أبو نواس هذا المعنى وزاده حُسناً، فقال[1]:

ويدخلُ حبُّها في كلّ قلبٍ مداخِلَ لا يُغَلْغِلُهَا المُدامُ

ويقول الجُرجاني كان سلم قد قال:

يرمي العَجاجَ بها أَغرُّ مُحجَّلٌ جعلَ السيوفَ مناكحاً وطَلاقا

فقال أبو الطيّب:

يُجَنَّبُها مَن حَتْفُهُ عنهُ غافلٌ ويَصْلَى بها مَن نفسُه طالِقُ

ويرى الجرجاني أنّ هذين البيتين يختلفان معنىً، وبيت أبي الطيّب بمعزل عن بيت سلم، وإنّما استعار منه لفظة الطلاق فقط[2].

وذكر الآمدي أنّ سلماً بَزَّ في أحد المعاني أبا العتاهية ومسلم بن الوليد والنّمري، بقوله[3]:

أعطاكَ قبلَ سُؤالِه فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

ومهما اختلف في أمر سلم وشعره، فإنّ ما لا خلاف حوله هو أنّه كان من المقدّمين في عصره. وإذا كان هنَاك من فاقه من معاصريه فقد تقدّم على كثيرين غيرهم.

(١) العسكري: الصناعتين، ص١٥٧.
(٢) الجرجاني: الوساطة، ص٢٨٤.
(٣) الآمدي: الموازنة، ص١٤٣.

ديوان سلم الخاسر

بعد رجوعي إلى المصادر التي وقعت عليها، تمكّنت من جمع ثمانٍ وستين قصيدة ومقطوعة من بقايا شعر هذا الشاعر. وتتفاوت هذه المقطوعات وتلك القصائد بعدد أبياتها، إذ تتدّنى حتّى تصل إلى شطر بيتٍ واحد، وتطول فتصل إلى تسعةٍ وعشرين بيتاً.

ولكن هناك خمس مقطوعات اختلف في أمر نسبتها، فهي تروى لسلم، كما تروى لغيره من الشعراء. وهذه المقطوعات هي: ق/ ٧، وتنسب لابن ثوابة، وق/ ٣٢ ينسبها الصولي لأبي العتاهية، إلّا أنّ أبا الفرج الأصفهاني يؤكّد أنّه رآها ضمن شعر سلم الخاسر، وق/ ٤٣ وتنسب لسيف بن إبراهيم، وق/ ٤٥ ينسبها صاحب الأغاني لأشجع السُلمي أو لسلم. أمّا ق/ ٦٦ فتنسب لشاعر اسمه سلام الخاسر، ولكّنها تشير إلى حادثةٍ وقعت ٢٠١هـ/ ٨١٦م، أي بعد خمسة عشر عاماً من وفاة سلم.

وهكذا، يكون عدد القصائد المنسوبة له دون خلاف، هو ثلاث وستون واحدة.

وقد بذلتُ جهديَ في شرح ألفاظ هذه القصائد التي وقفت عندها أو ظننت أنّ القرّاء قد يقفون عندها.

١

قال في عمر بن العَلاء:

١ ـ قد عَزَّني الداءُ فما لي دَواءْ ... مِمّا أُلاقِي مِن حِسانِ النساءْ

٢ ـ قلبٌ صَحيحٌ كنتُ أَسْطُو بهِ ... أَصبحَ مِن سَلْمَى بداءٍ عَياءْ

٣ ـ أَنفاسُها مِسْكٌ وفي طَرْفِها ... سِحْرٌ ومالي غيرَها مِن دَواءْ

٤ ـ وَعَدْتِني وَعْداً فأَوْفي بهِ ... هل تصلحُ الخمرةُ إلّا بماءْ[1]

٥ ـ كم كَرْبَةٍ قد مسَّني ضرُّها ... ناديتُ فيها عُمَرَ بنَ العَلاءْ

---

(١) الورقة: لا تصلح.

٢

وقال يمدح الهادي:

١ - بِعيسا باذَ حُرٌّ مِن قُريشٍ ... على جَنَباتهِ الشَّرْبُ الرَّواءُ[١]

٢ - يَعوذُ المسلمونَ بِحَقْوَتَيْهِ ... إذا ما كانَ خوفٌ أو رَجاءُ[٢]

٣ - وبالمَيْدان دُورٌ مُشْرِفاتٌ ... يُشَيِّدهُنّ قَوْمٌ أدْعِياءُ[٣]

٤ - وكم مِن قائلٍ إنّي صحيحٌ ... وتَأْباهُ الخَلائقُ والرُّواءُ

٥ - لهُ حَسَبٌ يَضِنُّ بهِ ليبقى ... وليسَ لِما يَضِنُّ بهِ بَقاءُ

٦ - على الضبيِّ لُؤْمٌ ليس يَخفى ... يُغَطِّيهِ فينكشِفُ الغِطاءُ

٧ - لَعَمْري لَو أَقامَ أَبو خُدَيْجٍ ... بناءَ الدارِ ما انهدمَ البِناءُ

٣

وقال أيضاً:

١ - أصبح الفضلُ والخليفةُ هارو ... نُ رَضِيعَيْ لِبانِ خيرِ النساءِ

٤

وله في وصف الفرس:

١ - تَخالُهُ مُسْتَقْبِلاً مُقْعِياً ... حتّى إذا اسْتَدْبَرْتَهُ قلتَ: أَكَبُّ

٢ - وهو على إرهافهِ وطَيِّهِ ... يَقْصُرُ عنهُ المَحْزِمانُ واللبَبُ[٤]

٥

وقال يعتذر إلى المهدي:

١ - إنّي أَتَتْنِي على المهديِّ مَعْتَبَةٌ ... تكادُ مِن خَوْفِها الأحشاءُ تضطرِبُ[٥]

٢ - اسمعْ فِداكَ بنو حَوّاءَ كُلُّهُمُ ... وقد يحورُ برأسِ الكاذبِ الكَذِبُ

---

(١) عيسا باذ: محلّة كانت بشرق بغداد، منسوبة إلى عيسى بن المهدي، وبها توفيّ موسى الهادي.

(٢) حقوتيه: الحقو: الخصر.

(٣) الميدان: محلّة تقع في الناحية الشرقية من بغداد.

(٤) اللبب: ما يُشد في صدر الدابّة ليمنع تأخّر السرج.

(٥) الأصبهاني: لقد أتتني.

٣ ـ فقد حلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ يومَ المَغيبةِ لم يُقطعْ لها سببُ
٤ ـ ألّا يُحالفَ مَدحي غيرَكم أبداً ولو تَلاقى عليَّ الغَرْضُ والْحَقَبُ[(١)]
٥ ـ إنّي أعوذُ بخيرِ الناسِ كلِّهمِ وأنتَ ذاك، بما نأتي وَنَجتنبُ[(٢)]
٦ ـ كيفَ الفِرارُ ولم أبلغْ رِضى مَلِكٍ تبدو المنَايا بعَيْنَيْهِ وتَحْتَجِبُ
٧ ـ وأنتَ كالدهرِ مبثوثاً حبَائِلُهُ والدهرُ لا ملجأٌ منهُ ولا هَرَبُ
٨ ـ ولو ملكتُ عِنانَ الريحِ أَصرِفُها في كلِّ ناحيةٍ ما فاتكَ الطَّلَبُ[(٣)]
٩ ـ فليس إلّا انتظاري منك عارفةً فيها مِن الخوفِ مَنجَاةٌ ومُنقَلَبُ
١٠ ـ مَوْلاكَ، مَوْلاكَ، لا تُشمِتْ أعادِيَهُ فما وراءَك لي ذِكْرٌ ولا نَسَبُ

٦

وقال يمدح الهادي:

١ ـ يَمّمْتُ مُوسى الإمامَ مُرْتَغباً أرجو نَداهُ والخيرُ مُطَّلَبُ
٢ ـ فَرْعَيْ قُرَيْشٍ عِزّاً ومَكْرُمَةً وأَعظَمُ الناسِ حينَ ينتسبُ
٣ ـ لَوْلا هُداكُمْ وفضلُ أوّلِكُمْ لم تَدْرِ ما أصلُ دِينِها العَرَبُ

٧

وله في الغزل[(*)]:

١ ـ أَتَثْنِي تُؤنّبني في الْبُكاءِ فأَهْلاً بها وَبِتَأْنِيبِها
٢ ـ تقولُ ـ وفي قولِها حِشْمَةٌ ـ: أتبكي بعينٍ تَرانِي بها؟
٣ ـ فقلتُ: إذا استحسنتْ غيرَكم أمرتُ الدُّموعَ بَتأْدِيبِها

٨

وقال يمدح الفضل بن يحيى:

١ ـ إذا نزلَ الفضلُ بنُ يحيى ببلدةٍ رأيتَ بها عُشْبَ المكارمِ ينبتُ

---

(١) الغرض: حزام الرحل. الحقب: حبل يُشدّ على خصر البعير.
(٢) القيرواني: إنّي أعزّ فأنت... لما يأتي.
(٣) الأصفهاني: ما فاتها.
(*) وردت هذه الأبيات في نثر النظم وحل العقد (ط. القاهرة ١٣١٧) ص١٦١ منسوبة لابن ثوابة.

٢ ـ وليسَ بسَعّالٍ إذا سِيلَ حاجةً ... ولا بُمكِبٍ في ثَرى الأرضِ ينكُتُ

٩

وأنشد الرشيد:

١ ـ حضرَ الرحيلُ وشُدّتِ الأحداجُ ... وغَدا بهنَّ مُشَمِّرٌ مِزعاجُ[1]

٢ ـ للشوقِ نِيرانٌ قَدَحْنَ بقلبهِ ... حتى استمرَّ بهِ الهَوَى الْمِلْجاجُ

٣ ـ أَزْعِجْ هَواكَ إلى الذين تحِبُّهم ... إنَّ المُحبَّ يسوقُهُ الإزعاجُ[2]

٤ ـ لن يُدْنِينكَ لِلحبيبِ ووَصْلهِ ... إلّا السُّرى والبازِلُ الْهَجْهَاجُ[3]

٥ ـ إنَّ المَنَايَا في السيوفِ كَوامِنٌ ... حتّى يُهيِّجها فتىً هيَّاجُ

٦ ـ ومُدَجَّجٍ يَغْشى الْمضيقَ بسيفهِ ... حتّى يكونَ بسيفهِ الإفراجُ

٧ ـ نَزَلَتْ نجومُ الليلِ فوقَ رُؤوسِهِمْ ... ولكلِّ قَوْمٍ كوكبٌ وَهّاجُ

٨ ـ شرِبَتْ بمكّةَ في ذُرَى بَطْحائِها ... ماءَ النبوّةِ لَيسَ فيهِ مِزاجُ

١٠

وقال لمّا تولّى الهادي الخلافة:

١ ـ لقد فازَ بالخلافةِ والهُدَى ... وماتَ أميرُ المُؤمنينَ مُحمّدُ

٢ ـ فماتَ الذي عَمَّ البريَّةَ فَقْدُهُ ... وقامَ الذي يكفيكَ مَن يتفقّدُ

١١

وقال في هجاء أبي العتاهية:

١ ـ ما أَقبحَ التزهيدَ مِن واعظٍ ... يُزهّدُ الناسَ ولا يزهدُ!

٢ ـ لو كانَ في تزهيدهِ صادقاً ... أَضحَى وأمسَى بيتَهُ المسجدُ

٣ ـ ورفضَ الدُّنيا[*] فلم يلْقَها ... ولم يكنْ يَسعى ويَسْتَرْفِدُ[4]

---

(١) البغدادي: وحدا بهنّ.

(٢) المسعودي:

ملكٌ أبوه وأمّه من نبعةٍ ... منها سراج الأمّة الوهّاج

(٣) السرى: سير الليل. البازل: الرجل الخبير. الهجهاج: الشديد.

(*) ابن خلكان: ويرفض... ولم يقنها.

(٤) يسترفد: يطلب العطاء.

٤ ـ يـخـافُ أن تـنـفـدَ أَرزاقُـهُ والـرزقُ عـنـدَ الله لا يـنـفـدُ[1]

٥ ـ الـرزقُ مـقـسـومٌ عـلـى مَـن تَـرى يـنـالُـه الأبـيـضُ والأسـودُ

٦ ـ كـلٌّ يُـوَفَّـى رزقَـهُ كـامِـلاً مَـن كَـفَّ عـن جَـهْـدٍ ومَـن يَـجْـهَـدُ

١٢

وله أيضاً:

١ ـ يقومُ مع الرُّمحِ الرُّدَيْنِيِّ قائِماً ويـقـصُـرُ عـنـهُ طـولُ كـلِّ نِـجـادِ[2]

١٣

وقال يمدح الفضل بن يحيى:

١ ـ سأُرسلُ بيتاً قد وسمتُ جبينَهُ يُـقَـطِّـعُ أعـنـاقَ الـبـيـوتِ الـشـواردِ

٢ ـ أَقامَ الندَى، والجودُ في كلّ منزلٍ أقامَ بـهِ الـفـضـلُ بـنُ يـحـيـى بـنُ خـالـدِ

١٤

وله أيضاً:

١ ـ ولا خيرَ في الغازِي إذا آبَ سالماً إلـى الـحـيِّ لـم يُـجْـرَحْ ولـم يـتـحـدّدِ

١٥

وقال يمدح صالح بن المنصور:

١ ـ يـا صـالـحَ الـجُـودِ الـذي مـجـدُهُ أفـسـدَ مـجـدَ الـنـاسِ بـالـجُـودِ

٢ ـ بَـنَـيْـتَ قـصـراً مُـشـرفـاً عـالـيـاً بـطـائِـرَيْ سَـعْـدٍ ومـسـعـودِ

٣ ـ كـأنّـمـا يـرفـعُ بِـنْـيَـانَـهُ جِـنُّ سـلـيـمـانَ بـنِ داوُدِ

٤ ـ لا زلـتَ مـسـروراً بـهِ سـالـمـاً عـلـى اخـتـلافِ الـبِـيـضِ والـسُّـودِ[3]

---

(١) ياقوت: فخاف أن.

(٢) الرديني: نسبة إلى رُدَيْنة، وهي امرأة اشتهرت بتقويم الرماح.

(٣) البيض: الأيام. السود: الليالي.

١٦

ومدح الفضل بن الربيع بقوله:

١ ـ وأينَ مَن جبرَ الإِسلامَ يومَ وَهَى ... واستنقذَ الناسَ مِن عمياءَ صَيخُودِ[١]

٢ ـ قالت قُريشٌ غداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ ... أينَ الربيعُ؟ وأعطَوْا بالمقاليدِ

٣ ـ فقامَ بالأمرِ مِئْناسٌ بوَحْدَتِهِ ... ماضِي العَزيمةِ ضرّابُ القَماحيدِ[٢]

٤ ـ إنّ الأمورَ إذا ضاقَتْ مَسالِكُها ... حَلَّتْ يدُ الفضلِ منها، كلَّ مَعْقُودِ

٥ ـ إنّ الربيعَ وإنّ الفضلَ قد بَنَيا ... رِواقَ مجدٍ على العبّاس ممدودِ

١٧

وقال يمدح المهدي حين عهد بالوزارة إلى يعقوب بن داود:

١ ـ قُلْ للإمامِ الذي جاءَتْ خلافَتُهُ ... تُهْدَى إليهِ بحقٍ غيرِ مَردودِ

٢ ـ نِعْمَ المعينُ على التقوى أُعِنْتَ بِهِ ... أخوكَ في الله يعقوبُ بنُ داوُدِ[٣]

١٨

قال يمدح الهادي:

موسى المطَرْ ... غيثٌ بكَرْ ... ثمّ انهمَرْ ... أَلْوَى المِرَرْ

كم اعتَسرْ ... ثمّ اتَّسرْ ... وكم قَدَرْ ... ثمّ غَفَرْ

عَدْلُ السِّيَرْ ... باقي الأثَرْ ... خيرٌ وشرّ ... نفعٌ وضرّ

خير البشرْ ... فرعُ مُضَرْ ... بَدْرٌ بَدَرْ ... والمُفْتَخرْ

لمن غَبَرْ ... لَمِنْ نَظَرْ ... هو الوَزَرْ

كم اعتبرْ ... ثمّ ختر[٤] ... خير البشرْ

---

(١) عمياء صيخود: داهية شديدة.

(٢) قماحيد: مفردها قمحودة، وهو ما بين فوق القفا وخلف الأذنين.

(٣) ابن خلكان: نعم القرين.

(٤) ختر: غدر.

١٩

وله في المدح:

١ - جَاراكَ قومٌ فلم يَنالوا ... مَداكَ والجَزيُ لا يُعارُ

٢٠

ومدح الفضل بن يحيى فقال:

١ - وكيفَ تخافُ مِن بُؤسٍ بدارٍ ... تَكنَّفَها البرامِكةُ البحورُ
٢ - وقومٌ منهمُ الفضلُ بن يَحْيَى ... نفيرٌ ما يُوازِنُهُ نفيرُ
٣ - له يومانِ: يومُ ندىً وبأسٍ ... كأنَّ الدهرَ بَينهما أَسيرُ
٤ - إذا ما البرمكيُّ غَدا ابنَ عَشْرٍ ... فَهِمَّتُهُ وزيرٌ أو أميرُ

٢١

وقال يمدح يحيى بن خالد(*):

١ - بقاءُ الدِّينِ والدُّنيا جميعاً ... إذا بقيَ الخليفةُ والوزيرُ
٢ - يَغارُ على حمَى الإسلامِ يَحْيَى ... إذا ما ضَيَّعَ الحزمَ الغيورُ
٣ - وليس يقومُ بالإسلامِ إلّا ... مَعاذٌ يُستَجارُ ويَستَجِيرُ
٤ - كِلا يومَيكَ مِن نَفعٍ وضُرٍ ... يحُوطُ حِماهُما كَرَمٌ وَخيرُ
٥ - وما أَلهاكَ عمّا أنتَ فيهِ ... نعيمُ المُلْكِ والوَطِيءُ الوثيرُ
٦ - إليكَ سَبيلُنا مِن كلِّ وجهٍ ... وكلُّ الأمرِ أنتَ بهِ بصيرُ
٧ - بَلَوْتُ الناسَ مِن عُجْمٍ وَعُرْبٍ ... فما أحدٌ يسيرُ كما تسيرُ
٨ - فكلُّ الأمرِ مِن قولٍ وفعلٍ ... إذا عَلِقَتْ يداكَ بهِ صغيرُ
٩ - وفي كفَّيكَ مَدْرَجَةُ المَنَايا ... ومِن جَدواهما الغيثُ المطيرُ
١٠ - وأنتَ العِزُّ في حربٍ وسِلْمٍ ... يُضافُ إلى مناكِبكَ الظُّهورُ(١)
١١ - عرفتَ الدهرَ مِن خيرٍ وشرٍ ... فكلُّ الرأي أنتَ بهِ خبيرُ

(*) التنوخي: منسوبة لأشجع السُّلمى. وفي الورقة منسوبة لعنان جارية الناطفي.

(١) مناكبك: كذا في الأصل، ويحتمل أن تكون «مناقبك».

١٢ ـ ولستَ مُجازِياً بالضِّغنِ ضِغْناً ... ولـو أبـدَى الـمُـظـاهـرةَ الـظَّـهـيـرُ

١٣ ـ فكلُّ الناسِ بين غِنىً وعفوٍ ... لـديـكَ، كِـلاهـمـا دَرٌّ دَرُورُ

١٤ ـ وما تَخْفَى عليكَ وأنتَ طَبٌّ ... بُـطـونٌ لـلأمـورِ ولا ظُـهـورُ

١٥ ـ سرابيلُ المَحامدِ ضافياتٌ ... عليكَ يَزِينُها الوَشْيُ الحَبيرُ[1]

١٦ ـ وما نَزَعَتْكَ للدنيا هَنَاتٌ ... إليها أَغْيُنُ الوزراءِ صُورُ[2]

١٧ ـ وما إنْ نالَ مِن دِينٍ لِدُنيا ... قـلـيـلٌ مِـن هَـواكَ ولا كـثـيـرُ

١٨ ـ وكانت قبلكَ الوزراءُ غَرْقَى ... يَـؤُمُّ كـبـيـرَهُـم فـيـهـا الـصـغـيـرُ

١٩ ـ وما إنْ جازَ مَقْطَعُ كلِّ حقٍ ... صُـعـودٌ فـي هَـواكَ ولا حُـدورُ

٢٠ ـ تَفَرَّجَتِ الأمورِ بِبَرمكيِّ ... تُـضـيءُ لَـه الـمـنـابـرُ والـسـريـرُ

٢١ ـ حملتَ فَوادِحَ الأعباءِ عنّا ... عـن الإسـلامِ إنْ شـكـرَ الـشَّـكُـورُ

٢٢ ـ لنا مَلِكٌ نَعَم ووزيرُ مَلْكٍ ... عـلـيـهِ مِـن لِـبـاسِ الـشـيـبِ نُـورُ

٢٣ ـ بَديهتُهُ وفِكرتُهُ سَواءٌ ... إذا مـا نـابَـهُ الـخَـطْـبُ الـكـبـيـرُ

٢٤ ـ وأجزلُ ما يكونُ الدهر رأياً ... إذا عَـمِـيَ الـمُـشـاوِرُ والـمُـشـيـرُ

٢٥ ـ ولا غرسَ الأمورَ ولا اجتناها ... كـيـحـيـى حـيـنَ يـعـزمُ أو يـسـيـرُ

٢٦ ـ إذا قامَتْ مساعي الفخرِ يوماً ... عـلـى الأقـدامِ أو مُـدِحَ الـمَـريـرُ[3]

٢٧ ـ فما نفعٌ كنفعِ أبي عليِّ ... ولا أحـدٌ يـصـيـرُ كـمـا يَـصـيـرُ

٢٢

وله في المدح:

١ ـ لمّا استظلَّ بتاجِ المُلْكِ واجتمَعَتْ ... لَـه الأمـورُ فَـمُـنْـقـادٌ ومـقـسـورُ

٢ ـ حَطَّتْ عليهِ بمقدارٍ مَنيّتُهُ ... كـذاكَ تـصـنـعُ بـالـنـاسِ الـمـقـاديـرُ

٣ ـ وفي يَدَيْهِ سماءٌ غيرُ مُقْلِعةٍ ... بالجُود، صَوْبُ عَزالِيها الدنانيرُ[4]

٤ ـ وكلُّ فخرٍ إذا فاخرتَ مُطَّرَحٌ ... وكـلُّ جُـودٍ إذا مـا جُـدْتَ مـغـمـورُ

---

(١) الحبير: الناعم.

(٢) صور: مائلة.

(٣) المرير: القويّ.

(٤) عزاليها: أرسلت السماء عزاليها: كثر مطرها.

٢٣

وله في الغزل:

١ ـ بـانَ شبابي فما يحورُ ... وطالَ، مِن ليليَ، القصيرُ[1]

٢ ـ أهدَى لي الشوقَ وهو خِلْوٌ ... أغَنُّ في طَرْفِهِ فُتورُ[2]

٣ ـ وقائلٍ حينَ شَبَّ وَجْدِي ... واشتعلَ المُضْمَرُ الستيرُ

٤ ـ لو شئتَ أسلاكَ عن هَواهُ ... قلبٌ لأشجانِهِ ذَكُورُ

٥ ـ فقلتُ: لا تَعْجَلَنْ بِلَومي ... فإنّما يُنْبِئُ الخبيرُ

٦ ـ عذَّبني والهوى صغيرٌ ... فكيفَ بي والهوى كبيرُ

٢٤

وقال في الحبّ:

١ ـ من راقَبَ الناسَ ماتَ غمّاً ... وفازَ باللذّةِ الجَسُورُ

٢ ـ لولا مُنَى العاشقينَ ماتوا ... غمّاً وبعضُ المُنَى غُرورُ

٢٥

وله في وصف الدروع:

١ ـ كأنَّ حَبابَ الغُدْرِ مارَ عليهِمُ ... وما هُو إلّا السابِغاتُ المَوائِرُ[3]

٢٦

وقالَ في محمّد بن المهدي:

١ ـ بموتِ أميرِ المُؤمنينَ محمّدٌ ... زَهَا الموتُ واختالَتْ عليهِ المقابِرُ

٢ ـ رأيتُ المَنَايَا يَفْتَخِرْنَ بموتهِ ... كأنَّ المنايا تَبتغي مَن تُفاخِرُ

٣ ـ فلو بكَتِ الأيّامُ مَيْتاً بَكَتْ لهُ ... سَوالِفُها والباقياتُ الغَوابِرُ

٤ ـ وما الناسُ إلّا لِلْفناءِ مَصيرهُمْ ... لكلِّ امرِئٍ مِن يومِهِ ما يُحاذِرُ

---

(١) أي ذهبَ شبابي ولن يرجع، وأصبح ما كان قصيراً من ليلي طويلاً بالهموم.

(٢) أغنّ: يخرج صوته من خياشيمه.

(٣) الحباب: الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر. الغدر: الغدير.
مار: اضطرب وهاج. السابغات: الدروع الواسعة. المائر: الخفيف النافذ.

٢٧

وقال:

١ ـ وحُزْنٍ كطُولِ الدهرِ باقٍ إذا مَضَتْ ... أوائِلُـهُ عـادَتْ إلـيـنـا الأواخِـرُ

٢٨

وقال:

١ ـ ظَلَلْنَا فَبِتْنا عندَ أُمِّ محمّدٍ ... بيوم ولم نشرب شرَاباً ولا خَمْرا

٢ ـ إذا صَمَتَتْ عنّا ضَجِرْنا لِصَمْتِها ... وإنْ نَطَقَتْ هاجَتْ لألْبابنا سُكْرا

٢٩

ومن شعره في الحكمة:

١ ـ لا تسألِ المرءِ عن خَلائقهِ ... في وجههِ شاهِدٌ عنِ الخبرِ[١]

٣٠

وقال حين عقد الرشيد البيعة لابنه محمّد الأمين:

١ ـ قلْ للمنازلِ بالكثيبِ الأعفرِ ... أُسْقيتِ غاديةَ السحابِ الممطرِ

٢ ـ قد وفّقَ الله الخليفةَ إذ بَنى ... بيتَ الخَليفةِ لِلْهجانِ الأزهرِ[٢]

٣ ـ فَهُو الخليفةُ عن أبيهِ وجَدِّهِ ... شَهِدا عليهِ بمَنْظرٍ وبِمَخْبَرِ

٤ ـ قد بايعَ الثَّقلانِ في مَهْدِ الهُدَى ... لمحمّدِ بنِ زُبَيدَةَ ابنةِ جعفرِ[٣]

٥ ـ ولّيْتَهُ عهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ ... فَدمَغْتَ بالمعروفِ رأسَ المُنْكَرِ

٣١

وقال يذكّر الرشيد بجائزته التي استحقّها برثائه المهدي:

١ ـ أرى المائة ألفاً صادِقاً قد وُعِدْتُها ... لمرثيةِ المهديِّ غيرَ كثيرِ

---

(١) زهر الآداب: من العجب. النويري: من الخبر.

(٢) الهجان: من كلّ شيءٍ خياره وخالصه.

(٣) الثقلان: الإنس والجان.

٢ ـ ولو غيرُ هارونٍ يجودُ بوعدِها لمَا عُجْتَ مِن مَوْعُودِهِ بنقيرِ

٣ ـ شَبيهُ أَبيهِ في السماحةِ والنَّدى فإن قال لم يأخذْ بحبلِ غُرورِ

٣٢

وقال يمدح الرشيد[*]:

١ ـ جَرى لكَ مِن هارونَ بالسَّعْدِ طائِرُهْ إمامُ اعتزامٍ لا تُخافُ بوادِرُهْ

٢ ـ إمامٌ لهُ رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ مَوارِدُهُ محمودةٌ ومصادِرُهْ

٣ ـ هُوَ المَلِكُ المجبولُ نفساً على التُّقى مُسَلَّمَةً مِن كلِّ سُوءٍ عساكِرُه

٤ ـ لِتُغْمَدْ سيوفُ الحربِ فالله وحدَه وليُّ أميرِ المؤمنينَ وناصِرُه

٣٣

وقال يمدح المهدي:

١ ـ لهُ شِيمةٌ عندَ بذلِ العَطا ءِ لا يعرفُ الناسُ مقدارَها

٢ ـ ومَهديُّ أُمَّتِنا والذي حمَاها وأدركَ أوتارَها

٣٤

وقال في مدح الرشيد عند توليّه الخلافة:

١ ـ بهارونَ قَرَّ المُلْكُ في مُسْتَقَرِّهِ وأشرقتِ الدُّنيا وأَينعَ نُورُهَا

٢ ـ وليس لأيّامِ المكارمِ غايةٌ تتمُّ بها إلا وأنتَ أميرُها

٣٥

وله في وصف الإبل:

١ ـ وكأنّهنَّ مِن الكَلالِ أَهِلّةٌ أو مِثْلُهُنّ عطائِفُ الأقواسِ[(١)]

٢ ـ قُودٌ طَواها ما طَوَتْ مِن مَهْمَهٍ نائِي الصُّوَى، ومناهِجٍ أدراسِ[(٢)]

(*) يذكر صاحب الأغاني أنّ الصولي نسب هذه الأبيات لأبي العتاهية، غير أنّ أبا الفرج رآها في بعض المخطوطات التي تضمّ شعراً لسلم الخاسر.

(١) الكلال: التعب.

(٢) قود: الإبل التي تُقاد. مهمه: الفلاة البعيدة. الصوى: الأرض الغليظة المرتفعة.

٣٦

وله في نعت النساء:

١ ـ تبدَّتْ فقلتُ: الشمسُ عند طلوعِها ... بـجِيدِ نقيِّ اللونِ مِنْ أَثرِ الوَرْسِ[١]

٢ ـ فلمّا كررتُ الطرْفَ قلتُ لصاحبي ... على مِرْيةٍ[٢]: ها هنا مطلعُ الشمسِ[٣]

٣٧

وروى إسماعيل بن يحيى اليزيدي عن أبيه قال: كنت جالساً أكتب كتاباً، فنظر فيه سلم الخاسر فقال:

أَيْـدُ يـحـيـى أَخَـطُّ كَـفٌ يَـخـيـى ... إنَّ يـحَـيْـى بـأيـدِه لَـخَـطُـوطُ

٣٨

وقال يمدح موسى الهادي:

١ ـ تخفى الملوكُ لموسى عندَ طلعتِهِ ... مثلُ النجومُ لقرنِ الشمسِ إذ طَلَعَا

٢ ـ وليس خَلْقٌ يرَى بَدْراً وطلعتَهُ ... مِـن الـبـرّيـةِ إلّا ذلَّ أو خـضـعـا

٣٩

وقال في مدح مَعْن بن زائدة:

١ ـ أبـلِـغ الـفِـتـيـان مَـأْلُـكَـةً ... أنّ خـيـرَ الـوُدِّ مـا نـفَـعـا[٤]

٢ ـ إنْ قَـرْمـاً مِـن بـنـي مَـطَـرٍ ... أَتـلـفَـتْ كـفّـاهُ مـا جـمَـعَـا

٣ ـ كـلّـمـا عُـدْنـا لـنـائـلـهِ ... عـادَ فـي مـعـروفـهِ جَـذَعـا[٥]

---

(١) ابن رشيق: بجلدٍ نقيّ. النويري:

تـبـدّت فـقـلـت ... بـوجـهِ غـنـيّ الـلـون مِـن

(٢) المرية: الشك.

(٣) ابن رشيق: ما هاهنا.

النويري: فقلت لأصحابي:

وبـي مـثـل مـا بـهـم ... عـلـى مـريـة: مـا هـاهـنـا

(٤) مألكة: رسالة.

(٥) جذعا: جديداً كما بدأ.

٤٠

وقال يمدح الهادي:

١ ـ لولا الخليفة موسى بعد والده ... ما كانَ للنّاسِ مِن مَهْدِيِّهِمْ خَلَفُ
٢ ـ ألا ترى أمّةَ الأمّيِّ واردةً ... كأنّها من نواحي البحرِ تغترفُ
٣ ـ مِن راحَتَيْ مَلِكٍ قد عمَّ نائِلُهُ ... كأنّ نائِلَهُ من جُوده سَرَف

٤١

وقال في هجاء والبة بن الحُباب:

١ ـ يا والِبَ بنَ الحُبابِ يا حَلقي ... لستَ من أهلِ الزِّناءِ فانطلق[١]
٢ ـ تُدخلُ فيه الغُرمولَ تُولجُهُ ... مثلَ ولوجِ المفتاحِ في الْغَلَقِ[٢]

٤٢

وله في وصف الفرس:

١ ـ عيسى تَبارى بعد طُول كلالِها ... مثلُ الأهلّةِ ذهبْنَ محاقا[٣]
٢ ـ يرمي العَجاجَ بها أغرُّ مُحجَّلٌ ... جعلَ السيوفَ مناكِحاً وطلاقا[٤]

٤٣

وقال يرثي دولة البرامكة[*]:

١ ـ خَوَتْ أنجمُ الجَدْوَى وشُلّتْ يدُ النَّدى ... وغاضتْ بحارُ الجُودِ بعدَ البرامكِ[٥]
٢ ـ هَوتْ أنجمٌ كانت لأبناءِ بزْمكٍ ... بها يعرفُ الهادي قويمَ المسالك[٦]

---

(١) العبّاسي: يا والبة. حلقي: لا شعر له.
(٢) العبّاسي: تدخل فيك. الغرمول: الذّكر.
(٣) المحاق: آخر الشهر القمري.
(٤) الأصبهاني: يرمي الفجاج.
(*) نسبها الطبري لسيف بن إبراهيم. وهذا هو الأصحّ، لأنّ سلماً لم يدرك نكبة البرامكة.
(٥) الطبري:
هـــــوت أنـــــجـــــم ... وغـــــاضـــــت بـــــحـــــور
(٦) الطبري: يعرف الحادي.. طريق.

٤٤

وقال مخاطباً مروان بن أبي حفصة:

١ ـ ألا قلْ لمروانٍ أتتكَ رسالةٌ لها نبأٌ لا ينثني عن لقائِكا[١]

٢ ـ حبَاني أميرُ المؤمنينَ بنفحةٍ مشهَّرةٍ قد طأطأَت مِن حِبائِكا[٢]

٣ ـ ثمانينَ ألفاً حُزتُ مِن صُلْبِ مالِه ولم يكُ قسماً من أُولي وأولئكا[٣]

٤٥

وقال يمدح الهادي(*):

١ ـ أسلَمْ وحُيِّيتَ أيها الطَّللُ وإنْ عَفَتْكَ الرياحُ والسبَّلُ[٤]

٢ ـ خليفةُ لا يَخيبُ سائِلهُ عليهِ تاجُ الوَقارِ مُعتَدِلُ

٤٦

١ ـ سقتني بِعَيْنَيْها الهوَى وسَقَيْتُها فدبَّ دبيبَ الخمرِ في كلِّ مَفْصلِ

٤٧

وقال يهجو بني جَرْم:

١ ـ فإن تُعطِني جَرْمٌ لأني امْتَدَحْتُها فما عَلمتْ جَرْمٌ مادِحاً قَبْلي

٤٨

وقال في يحيى بن خالد:

١ ـ وفتىً خَلا مِن مالِهِ ومِن المروءَةِ غيرُ خالِ

٢ ـ وإذا وَأى لكَ مَوْعِداً كانَ الفِعالُ مع المَقالِ[٥]

---

(١) العمدة:

مـن مبلغ مروان عنّي رسالة مُغلغلة لا تنثني عن لقائكا

(٢) العمدة: حباني.. ثمانين ألفاً طأطأت من حبائكا.

(٣) العمدة: نلت من.. ولم تكُ.

(*) تُنسب لأشجع السُلمي أو لسَلْم الخاسر.

(٤) السبل: المطر النازل من السحاب. (٥) وأي: وعد.

٣ ـ لله دَرُّكَ مِـن فَـتـى | مـا فـيـكَ مِـن كَـرمِ الـخِـلالِ
٤ ـ أعـطـاكَ قـبـلَ سُـؤالـهِ | فـكـفـاكَ مـكـروهَ الـسـؤالِ

٤٩

وقال حين أخذت البيعة للمأمون بعد الأمين:

١ ـ بـايـعَ هـارونُ إمـامُ الـهُـدَى | لِـذي الـحِـجَـى والـخُـلُـقِ الـفـاضـلِ
٢ ـ الـمُـخْـلِـفِ الـمُـتْـلِـفِ أمـوالَـهُ | والـضـامِـنِ الأثـقـالَ لـلـحَـامِـلِ
٣ ـ والـعـالـمِ الـنـاقـدِ فـي عـلـمـهِ | والـحـاكـمِ الـفـاضـلِ والـعـادلِ
٤ ـ والـراتِـقِ الـفـاتـقِ حِـلْـفَ الـهُـدى | والـقـائـلِ الـصـادقِ والـفـاعـلِ
٥ ـ لـخـيـرِ عـبّـاسٍ إذا حُـصِّـلـوا | والـمـفـضـل الـمُـجْـدِي عـلـى الـعَـائـلِ
٦ ـ أبَـرِّهِـمْ بِـرّاً وأولاهُـمُ | بـالـعُـرْفِ عـنـد الـحَـدَثِ الـنَّـازِلِ
٧ ـ لـمُـشْـبِـه الـمـنـصـورِ فـي مُـلْـكـهِ | إذا تَـدجَّـتْ ظُـلْـمـةُ الـبـاطـلِ
٨ ـ فـتـمَّ بـالـمَـأمـونِ نُـورُ الـهُـدَى | وانـكـشـفَ الـجـهـلُ عـن الـجـاهـلِ

٥٠

وله في المدح:

١ ـ .... | كـادَتْ لـهُ مُـهَـجُ الأنـامِ تـسـيـلُ

٥١

ومدح الفضل بن يحيى في يوم نَيْروز فقال:

١ ـ أَمِـن رَبْـعٍ تُـسـائِـلُـهُ | وقـد أقْـوَتْ مـنـازِلُـهُ
٢ ـ بـقـلـبـي مِـن هَـوى الأطـلا | لِ حُـبٌّ مـا يُـزايِـلُـهُ
٣ ـ رُوَيْـدَكُـمُ عـن الـمـشـغُـو | فِ إنّ الـحـبَّ قـاتِـلُـهُ
٤ ـ أحـقُّ الـنـاسِ بـالـتـفـضـيـ | ـلِ مَـن تُـرجَـى فـواضِـلُـهُ
٥ ـ بَـلابِـلُ صَـدْرِهِ تَـسْـرِي | وقـد نـامَـتْ عـواذِلُـهُ
٦ ـ رأيـتُ مـكـارِمَ الأخـلا | قِ مـا ضَـمَّـتْ حـمـائِـلُـهُ
٧ ـ ولـسـتُ أرى فـتـىً فـي الـنّـا | سِ إلّا الـفـضـلُ فـاضِـلُـهُ
٨ ـ يـقـولُ لـسـانُـهُ خـيـراً | فـتـفـعـلُـهُ أنـامِـلُـهُ

٩ ـ ومهما تَرْجُ مِن خيرٍ فإنّ الفضلَ فاعِلُهُ

٥٢

وله في المدح:

١ ـ لِنُعْمانَ آثارٌ علينا مُبينةٌ كما بَيَّنَتْ آثارَ غيْبٍ مسائِلُه

٥٣

وله في نجاح الحاجب:

١ ـ يُديرُ الأمورَ مقادِيرُها وللرزقِ داعٍ إلى أهلِه
٢ ـ إذا أَذِنَ الله في حاجةٍ أتاكَ النجاحُ على رِسْلِه
٣ ـ يفوزُ الجوادُ بحُسْنِ الثناءِ ويبقى البخيلُ على بُخْلِه
٤ ـ إذا قَنِعَ المرءُ نالَ الغِنَى وعرَّى المطَّيةَ مِن رَحْلِه
٥ ـ ولا تسألِ النّاسَ مِن فضلِهِمْ ولكنْ سَلِ الله مِن فَضْلِه

٥٤

وقال يمدح الهادي:

١ ـ سألتُ الديارَ وأطلالَهَا وما إنْ تُجاوِبُ سُؤَّالَها
٢ ـ منازِلُ قد أَقْفَرتَ بعدنا وجَرَّتْ بها الريحُ أذيالَها
٣ ـ وصهباءَ تعملُ في الناظِرَيْنِ شربتُ على الرِّيقِ سَلْسالَها
٤ ـ وقد كنتُ لِلْكَأسِ والغانياتِ إذا هجرَ القومُ وُصَّالَها
٥ ـ وكم قد رفعتُ ستورَ الْملوكِ وزاولتُ بالشِّعرِ أزوالَها
٦ ـ ونلتُ مجالِسَ مشهورةً يُنالُ الكِرامُ بِمَن نالَها
٧ ـ لقد جعلَ الله في راحتَيْكَ حياةَ الناسِ وآجالَها
٨ ـ وجدناكَ في كُتُبِ الأوّلينَ مُحْيي النفوسَ وقَتَّالَها
٩ ـ وموسى شبيهُ أبي جعفرٍ ومُعطي الرغائبَ سُؤَّالَها
١٠ ـ ولولا مكانُكَ مِن بعدِهِ لأنكرتِ العُوذُ أطْفالَها[١]

(١) العوذ: جمع عائذ، وهي الحديثة النتاج من الإبل والخيل.

٥٥

وله في الغزل:

١ ـ ولـي عـنـد رؤيـتـه رَوْعَـةٌ ... تُـحـقِّـقُ مـا ظـنَّـهُ الـمُـتَّـهِـمُ

٥٦

وأنشد الرشيد:

١ ـ حَـيِّ الـمـنـابـرَ بـالـسـلام ... أَعَـلـى وداعٍ أَو لِـمـام

٢ ـ لـم يـبـقَ مـنـكَ ومـنـهـمُ ... غـيـرُ الـجـلـودِ عـلـى الـعِـظـام

٣ ـ ولـقـد سـكـرتُ مِـن الـهـوى ... سُـكْـرَ الـغَـوِيِّ مِـن الـمُـدام

٤ ـ فـالـقـلـبُ مُـضْـطَـرِبُ الـحَـشـا ... والـعـيـنُ نـافِـرةُ الـمـنـام

٥ ـ فـإذا عـزمـتَ فـامْـضِ هَـمْـ ... ـمَـكَ بـيـنَ مـحـمـودٍ وذام

٦ ـ ودعِ الـنـوافِـخَ فـي الـبَـرى ... يـسـبـحـن فـي بـحـرِ الـظـلام[1]

٧ ـ وَيَـخُـضْـنَ أَسـرابَ الـفَـلا ... قُـوداً أَعِـنَّـتُـهـا سَـوام

٨ ـ مُـتَـسـربـلاتٍ بـالـحـمـيـ ... ـمِ مُـعَـمَّـمـاتٍ بـالـلُّـغـام[2]

٩ ـ مِـن كـلِّ خَـرْقـاءِ الـيـديـ ... ـنِ عـلـى انـقـضـابٍ وانـجـذام

١٠ ـ يَـهْـمِـسْـنَ فـي هـمـسِ الـقَـطـا ... ويَـخِـدْنَ فـي وَخْـدِ الـنـعـام[3]

١١ ـ كـم قـد هـتـكـنَ مِـن الـرَّجـا ... وَمَـضَـيْـنَ بـيـنَ صَـدىً وهَـام[4]

١٢ ـ حـتـى رجـعـنَ مِـن الـسُّـرَى ... مِـثـلَ الأَهِـلَّـةِ فـي الـحـزام[5]

١٣ ـ لـم يـبـقَ غـيـرُ نـواظـرٍ ... مـنـهـا وأَخـفـافٌ دَوام[6]

١٤ ـ يـتـبـعـنَ وَخْـدَ شِـمِـلَّـةٍ ... وَجْـنَـاءَ تُـفْـسِـحُ فـي الـزِّمـام[7]

١٥ ـ فـمـضـتْ تَـزِفُّ أَمـامـهـنَّ ... كـمـا تـولَّـى سَـهْـمُ رام

١٦ ـ وإلـى أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـ ... ـنَ مـحـمَّـدٍ خـيـرِ الأَنـام

١٧ ـ جـمـعَ الـخِـلافـةَ والـسَّـمـا ... حـةَ والـشـجـاعـةَ فـي نـظـام

١٨ ـ مَـلِـكٌ ضـريـبـةُ رأيـهِ ... أَمْـضَـى مِـن الـسـيـفِ الـحُـسـام

---

(١) البرى: التراب.
(٢) اللغام: زبد أفواه الإبل. الحميم: العرق.
(٣) وخد: سير.
(٤) الهام: نوع من البوم.
(٥) السرى: سير الليل.
(٦) دوام: دامية.
(٧) شملة: ناقة سريعة، وجناء: شديدة.

١٩ - يقضي أُمورَ المؤمنيـ ـنَ برأيِ حزمٍ واعتزامِ
٢٠ - قالت قريشٌ كُلُّها وهمُ الكرامُ بنو الكرامِ
٢١ - وخيارُ مَن وَطِيءَ الحَصَى مِن بينِ كَهلٍ أو غلامِ
٢٢ - فَضَلَ الملوكَ مُحمّدٌ فضلَ الحَلالِ على الحرامِ
٢٣ - فاسْلَمْ أميرَ المؤمنيـ ـنَ فأنتَ رَهْنٌ بالسلامِ
٢٤ - ولكَ المكارِمُ كُلُّها في دارِ ظَعْنٍ أو مُقامِ
٢٥ - أَمِنَ الحوادِثَ مَنْ تعلّـ ـقَ ذِمَّةَ المَلِكِ الهُمَامِ[1]
٢٦ - يا خيرَ مَن ضَمِنَتْ يدا هُ كم في يَدَيْكَ مِن الذِّمامِ
٢٧ - كم في يديكَ مِن الندى وضروبِ ألوانِ الحِمامِ
٢٨ - حوضُ الخليفةِ بالنَّدى يَشْفي الغليلَ مِن الأوامِ[2]
٢٩ - إنَّ الخليفةَ في يَدَيْهِ سِجالُ عفوٍ وانتِقامِ

٥٧

وقال في رثاء الهادي:

١ - لولا المقابِرُ ما حَطَّ الزمانُ بهِ لا بل تَوَلّى بأَنفِ كَلْمُهُ دامي[3]

٥٨

وله في المدح:

١ - ولمّا وَلِيتَ ذكرتُ النبيّ بتحليلِهِ وبتحريمِهِ

٥٩

وله في الوصف:

١ - وكأنَّ السيوفَ، والنقعُ عالٍ شُهُبُ نارٍ في ساطعٍ ودخانِ

---

(١) الهمام: السيد الشجاع، السخيّ من الرجال.
(٢) الأوام: العطش.
(٣) كلمه: جرحه.

٦٠

وقال يرثي البانوكة بنت المهدي:

١ ـ أودى ببانوكة رَيْبُ الزمانِ … مُؤْنِسةِ المهديِّ والخَيْزُرانِ

٢ ـ لم تنطوِ الأرضُ على مثلِها … مولودةً حَنَّ لها الوالدانِ

٣ ـ بانوكَ، يا بنتَ إمامِ الهُدَى … أصبحتِ مِن زينةِ أهلِ الجِنانِ

٤ ـ بكتْ لكِ الأرضُ وسُكّانُها … في كلّ أُفْقٍ بينَ إنْسٍ وجَانِ[1]

٦١

وقال حين بويع الهادي بالخلافة:

١ ـ لمّا أَتَتْ خيرَ بني هاشم … خلافةُ الله بجُرْجانِ

٢ ـ شمَّرَ[2] لِلْحزمِ سَرابيلَهُ … برأيٍ لا غُمْرٍ[3] ولا وانِ

٣ ـ لم يُدخلِ الشُّورى على رأيهِ … والحزمُ لا يُمضيهِ رَأْيانِ

٤ ـ أسرع في الأرضِ وقد حازَها … إسراعَ ذِي الريحِ سُليمانِ

٥ ـ كانت لذاكَ الريحُ مأمورةً … وذا على سَفْواءَ مِذْعانِ[4]

٦٢

وقال في المدح:

١ ـ قومٌ إذا نزلَ الغريبُ بدارِهم … تركوهُ رَبَّ صَواهلٍ وقيانِ[5]

٢ ـ لا ينكتُونَ الأرضَ عند سُؤَالِهم … لتطلّبِ العِلّاتِ بالعِيدانِ

٣ ـ بل يُسفرون وجوهَهم فترى لها … عندَ السؤالِ كأحسنِ الألوانِ

٤ ـ وإذا دعوتَهمُ ليومِ كَريهةٍ … سدُّوا شُعاعَ الشمسِ بالفرسانِ[6]

---

(١) الثعالبي:

أسرع في الأرض وقد سارها … يحكي لنا سير سليمان

(٢) المسعودي: شمّر للحرب.

(٣) الغمر: الجاهل الذي حرم التجارب.

(٤) سفواء: سريعة، أي ناقة سريعة.

(٥) صواهل: خيول. القيان: الجواري.

(٦) الكريهة: الحرب والقتال.

٦٣

وقال في رثاء المنصور:

١ - عَجباً للّذي نَعى الناعيانِ ... كيفَ فاهَتْ بموتهِ الشفتانِ
٢ - مَلِكٌ إن غَدا على الدهرِ يوماً ... أصبحَ الدهرُ ساقِطاً لِلْجرانِ[1]
٣ - ليتَ كفّاً حَثَتْ عليهِ تُراباً ... لم تَعُدْ في يمينها ببنانِ
٤ - حين دانَتْ له البلاد على الـ ... ـعَسْفِ وأَغْضَى مِن خَوْفِه الثقلان
٥ - أينَ ربُّ الزَّوْرَاءِ قد قلَّدته الـ ... ـمُلْكَ عشرون حجّةً واثنتانِ
٦ - إنّما المرءُ كالزِّنادِ إذا ما ... أَخَذَتْهُ قَوادِحُ النِّيرانِ
٧ - ليس يثني هَواهُ زَجْرٌ ولا يَقْـ ... ـدَحُ في حبلهِ ذوو الإدهانِ
٨ - قَلَّدَتَهُ أَعِنَّةَ المُلْكِ حتّى ... قادَ أعداءَه بغيرِ عِنانِ
٩ - يُكْسرُ الطرْفُ دونَهُ وتُرى الأيـ ... ـدِي مِن خوفهِ على الأذقانِ
١٠ - ضمَّ أطرافَ مُلْكهِ ثمَّ أَضْحَى ... خلفَ أَقصاهُمُ ودُونَ الدَّاني
١١ - هاشميُّ التشيرِ لا يحملُ الثقـ ... ـلَ على غاربِ الشرَّودِ الهِدانِ[2]
١٢ - ذو أَناةٍ يَنْسَى لها الخائفُ الخو ... فَ وعزم يُلوِي بكلّ جَنانِ
١٣ - ذهبتْ دونَهُ النفوسُ حِذاراً ... غيرَ أَنَّ الأرواحَ في الأَبدانِ

٦٤

وقال في رثاء معن بن زائدة ومالك وشهاب ابنيْ عبد الملك بن مِسمع:

١ - عينُ جُودي بعَبْرةٍ تَهْتانِ ... واندُبي مَن أصابَ رَيْبُ الزمانِ
٢ - وإذا ما بَكَيْتِ قوماً كِراماً ... فَعلى مالكِ أبي غسّانِ
٣ - أين مَعْنٌ أبو الوليدِ ومَن كا ... نَ غِياثاً للهالكِ الحَيْرانِ
٤ - طَرَقَتْهُ المنونُ لا واهِي الخَبـ ... ـلِ ولا عاقِداً بحلفِ يمانِ
٥ - وشِهابٌ وأين مثلُ شِهابِ ... عندَ بذلِ النَّدَى وحَرِّ الطِّعانِ
٦ - رُبَّ خَرْقٍ رُزِئْتُهُ مِن بني قيـ ... ـسٍ وخَرْقٍ رُزِئْتُ مِن شيبانِ
٧ - دَرَّ درُّ الأيّامِ ماذا أَجَنَّتْ ... منهمُ في لفائفِ الكتّانِ

---

(١) الجران: ألقى عليه جرانه أي ألقى عليه أثقاله.

(٢) الهدان: الثقيل في الحرب.

٨ ـ ذاكَ مَغنٌ ثَوى بِبُسْتَ رهيناً   وشهابٌ ثَوى بأرضِ عُمانِ[(١)]

٩ ـ وهما ما هما لبذلِ العطَايا   ولِلَفِّ الأقرانِ بالأقرانِ

١٠ ـ يسبِقان المنونَ طعناً وضرباً   ويفكّانِ كلَّ كَبْلٍ وعَانِ[(٢)]

٦٥

وقال يمدح عاصم بن عُتبة الغسّاني (أصلها سبعون بيتاً):

١ ـ لعاصمٍ سماءٌ   عارِضُها تَهْتَانُ[(٣)]

٢ ـ أمطارُها اللُّجَينُ   والدُّرُّ والعِقْيانُ[(٤)]

٣ ـ ونارُهُ تنادِي   إذا خَبَتِ النِّيرانُ

٤ ـ الجودُ في قحطانِ   ما بَقِيتْ غسّانُ

٥ ـ واسلمْ ولا أُبالي   ما فعلَ الإخوانُ

٦ ـ صلّتْ لهُ المعَالي   والسيفُ والسِّنانُ

٧ ـ ما ضرَّ مُرتجيهِ   ما فعلَ الزمانُ

٨ ـ مَن غالَهُ مخوفٌ   فعاصِمٌ أَمانُ[(٥)]

٦٦

وله في مدح عبد الله بن خرداذبه[(*)]:

١ ـ إنّا لنَأْمُلُ فتحَ الرومِ والصِّينِ   بمَن أَذَلَّ لنا مِن مُلْكِ شَرْوينِ

٢ ـ فاشدُدْ يدَيْكَ بعبد الله إنّ لَهُ   مع الأمانةِ رأياً غيرَ مَوْهُونِ

---

(١) بست: مدينة في بلاد فارس.

(٢) الكبل: القيد. العاني: الأسير.

(٣) العباسي: هتان. عارضها تهتان: سحابها متتابع المطر.

(٤) العباسي: أمطارها الإبريز.... واللجين والعقيان. العقيان: الذهب الخالص.

(٥) العباسي: من غاله مخوف... فهو له أمان.

(*) يقول الطبري في أحداث سنة ٢٠١هـ: «وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن خرداذبه جبال طبرستان، وأنزل شهريار بن شروين عنها، فقال سلام الخاسر هذه القصيدة». علماً أنّ نسبة هذه القصيدة لسلم خطأ، لأنها تشير إلى حادث وقع بعد وفاته بخمس عشرة سنة. وقد أثبتناها في هذا الديوان لأننا لم نقع على شاعر باسم «سلام الخاسر».

٦٧

وقال يمدح يعقوب بن داود الذي ولّاه المهدي:

١ - يعقوبُ ينظرُ في الأمو ... رِ وأنتَ تنظر ناحِيَهْ

٢ - أدخلتَهُ فعَلا عليـ ... ـكَ كذاكَ شُؤْمُ الناصِيَهْ

٦٨

ومن شعره قوله:

١ - كأنَّ المنايا جارِياتٌ بأمرِهِ ....



ـ تخريج القصائد ـ

رقم القصيدة	تخريجها	قافيتها	بحرها
١	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٠	النساء	السريع
	الجراح: كتاب الورقة، ص٥٩ (عجز الرابع)		
٢	الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٧٣	الرواء	الوافر
٣	ابن الأثير: الكامل، ٥/ ٢٦	النساء	الخفيف
٤	الجراح: كتاب الورقة، ص١٠٨	اكب	السريع
٥	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٩ (١ ـ ٤، ٨، ١٠)	تضطرب	البسيط
	الصولي: أخبار أبي تمام، ص١٩ (٥، ٧، ٨)		
	الثعالبي: المنتحل، ص١٧٩ (١، ٦ ـ ٨)		
	ابن رشيق: العمدة، ٢/ ١٧٨ (٥، ٧ ـ ٩)		
	القيرواني: زهر الآداب، ٣/ ٣٦٧ (٥، ٧ ـ ٩)		
	الباقلاني: إعجاز، ص٤٠ (٧ ـ ٨)		
	الأصبهاني: محاضرات، ١/ ١١٤ (١)		
	النويري: نهاية الإرب، ٣/ ١٨٢ (٧ ـ ٨)		
	العسكري: ديوان المعاني، ١/ ٢ (٧ ـ ٨)		
٦	الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٧٣	مطلب	المنسرح
٧	النويري: نهاية الإرب، ٢/ ٥٦	وبتأنيبها	المتقارب

رقم القصيدة	تخريجها	قافيتها	بحرها
	نشر النظم وحل العقد، ص١٦١ ط. القاهرة ١٣١٧ (منسوبة لابن ثوابة)		
٨	أبو السعادات: حماسة، ص١٠٦	ينبت	الطويل
٩	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٤٤ (١ ـ ٤، ٥ ـ ٧)	مزعاج	الكامل
	البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٧ (١، ٨)		
	ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٩٦ (١، ٨)		
	السمعاني: أنساب، ص ١٨٥ (١، ٨)		
	المسعودي: مروج، ٦/ ٤٣٦ (صدر السابع + ٨) ط. باريس ١٨٦١ ـ ١٨٧٧ منسوبة لأبي الغول		
١٠	الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٣٧	محمد	الطويل
١١	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٣	يزهد	السريع
	ياقوت: معجم الأدباء، ١١/ ٢٣٩		
	ابن خلكان: وفيات، ٣/ ٩٧		
	العباسي: معاهد، ٤/ ٣٨		
١٢	البغدادي: خزانة، ٤/ ١٤٦	نجاد	الطويل
	المرتضى: أمالي، ٣/ ٣١		
١٣	الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٠٤	الشوارد	الطويل
	الوطواط: غرر الخصائص، ص١٥٧		
١٤	الأصبهاني: محاضرات، ٣/ ١٧٠ (ط بيروت ١٩٦١)	يتحدد	الطويل
١٥	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٢٩	بالجود	السريع
١٦	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٣	صيخود	البسيط

رقم القصيدة	تخريجها	قافيتها	بحرها
	العباسي: معاهد، ٤/ ٤٢		
١٧	الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٥٥	مردود	البسيط
	ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٣٣١		
١٨	ابن رشيق: العمدة، ص١٨٥	المطر	الرجز على جزء واحد
١٩	الأصبهاني: محاضرات، ١/ ١٤٢	يعار	البسيط
٢٠	الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٦٣	البحور	الوافر
	ابن الأثير: الكامل، ٥/ ١٠٠		
٢١	ابن المعتز: طبقات، ص١٠١ ـ ١٠٣	والوزير	الوافر
	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٩ (٢٣ ـ ٢٤)		
	التنوخي: المستجاد، ص٨٦ (٢٣ ـ ٢٤)		
	الجراح: كتاب الورقة، ص٤٠ (٢٣ ـ ٢٤)		
٢٢	الأصبهاني: محاضرات، ١/ ٢٧٦ (٣، ٤) ٤/ ٥٢٢ ط. بيروت (١ ـ ٢)	ومقسور	البسيط
٢٣	البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٩	القصير	المنسرح
	العباسي: معاهد، ٤/ ٢٦		
٢٤	ابن المعتز: طبقات، ص١٠٠	الجسور	المنسرح
	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢١٧		
	البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٩		
	ياقوت: معجم الأدباء، ١١/ ٢٣٨		
	ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٩٧		

رقم القصيدة	تخريجها	قافيتها	بحرها
٢٥	النويري: نهاية الأرب، ٦/ ٢٤٤	الموائد	الطويل
٢٦	البصري: حماسة، ١/ ٢٤٨	المقابر	الطويل
٢٧	الأصبهاني: محاضرات، ٤/ ٥١٦ (ط. بيروت)	الأواخر	الطويل
٢٨	الأبشيهي: المستطرف، ٢/ ٢١	خمرا	الطويل
٢٩	الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٠٣	الخبر	المنسرح
	القيرواني: زهر الأداب، ٣/ ٢٧٩		
	النويري: نهاية الأرب، ٣/ ٨١		
	الخفاجي: طراز المجالس، ص١١٥		
٣٠	البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٨ (١، ٤)	الممطر	الكامل
	ابن خلكان: وفيات، ٢/ ٩٦ (١، ٤)		
	السمعاني: انساب، ص١٨٥ (١، ٤)		
	الطبري: تاريخ، ٦/ ٤٤٨ (٣ ـ ٤)		
	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٤ (٤، ٥)		
	ابن الأثير: الكامل، ٥/ ٨٨ (٢ ـ ٤)		
	العباسي: معاهد، ٤/ ٤٣ (٤، ٥)		
٣١	البغدادي: تاريخ بغداد، ٩/ ١٣٨	كثير	الطويل
٣٢	الأصفهاني: الأغاني، ٦/ ١٧٦ (ط. بولاق)	بوادره	الطويل
٣٣	الأصفهاني: الأغاني، ١٩/ ٢٣٤	مقدارها	المتقارب
٣٤	الجاحظ: البيان، ٣/ ٢٣٥	نورها	الطويل
	ياقوت: معجم الأدباء، ١١/ ٢٤١		

رقم القصيدة	تخريجها	قافيتها	بحرها
٣٥	المرتضى : أمالي، ٣/ ٢٤	الأقواس	الكامل
٣٦	الجاحظ : الحيوان، ٣/ ٩٠	الورس	الطويل
	النويري : نهاية الأرب، ٢/ ٣٧		
	ابن رشيق : العمدة، ٢/ ٦٧		
٣٧	الأزدي : بدائع البدائه، ص٣٧	لخطوط	الخفيف
٣٨	الطبري : تاريخ، ٦/ ٤٣٧	طلعا	البسيط
٣٩	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٣٩	نفعا	المديد
	القالي : أمالي، ٣/ ١٦١		
٤٠	الطبري : تاريخ، ٦/ ٤٣٨	خلف	البسيط
٤١	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٢٩	فانطلق	المنسرح
	العباسي : معاهد، ٤/ ٤١		
٤٢	الأصبهاني : محاضرات، ٢/ ٢٩٢	محاقا	الكامل
	الجرجاني : وساطة، ص٢٨٤		
٤٣	المسعودي : مروج، ٣/ ٣٩٠	البرامك	الطويل
	الطبري : تاريخ، ٦/ ٤٩٥		
٤٤	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٣٥	لقائكا	الطويل
	ابن رشيق : العمدة، ٢/ ٨٥		
٤٥	الأصفهاني : الأغاني، ٦/ ٧٦ (ط. بولاق)	والسبل	المنسرح
٤٦	العسكري : الصناعتين، ص١٥٧	مفصل	الطويل
٤٧	الأصبهاني: محاضرات، ١/ ١٨٥	قبلي	الطويل

رقم القصيدة	تخريجها	قافيتها	بحرها
٤٨	الجاحظ : البيان، ٣/ ٣١٣	خال	مجزوء الكامل
	ياقوت : معجم الأدباء، ١١/ ٢٤١		
	الآمدي : موازنة، ص٤٠		
٤٩	الطبري : تاريخ، ٦/ ٤٧٤	الفاضل	السريع
	ابن الأثير : الكامل، ٥/ ١١٢		
٥٠	الأصبهاني : محاضرات، ٢/ ٢٣١	تسيل	الكامل
٥١	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٣٨	منازله	مجزوء الوافر
	العباسي : معاهد، ٤/ ٤٣		
٥٢	الأصبهاني : محاضرات، ١/ ٢٧٧	مسائله	الطويل
٥٣	ابن المعتز : طبقات، ص١٠٥	أهله	المتقارب
	الأبشيهي : المستطرف، ٣/ ٦٥		
٥٤	ابن المعتز : طبقات، ص١٠٤	سؤالها	المتقارب
٥٥	الأصبهاني : محاضرات، ٢/ ٤٦	المتهم	المتقارب
٥٦	ابن المعتز : طبقات، ص١٠٢	لمام	مجزوء الكامل
	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٤٠		
	العباسي : معاهد، ٤/ ٤٤		
٥٧	الآمدي : موازنة، ص١٤٣	دامي	البسيط
٥٨	المرتضى : أمالي، ٣/ ٢٧	وبتحريمه	المتقارب
٥٩	الأصبهاني : محاضرات، ٢/ ٦٧	ودخان	الخفيف
٦٠	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٢٨	والخيزران	السريع

رقم القصيدة	تخريجها	قافيتها	بحرها
٦١	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٤١ (١ ـ ٣)	بجرجان	السريع
	الثعالبي : لطائف، ص ١٣١ (١، ٤، ٥)		
	المسعودي : مروج، ٣/ ٣٣٤ (١ ـ ٢)		
	ياقوت : معجم الأدباء، ١١/ ٢٤٠ (١ ـ ٣)		
٦٢	أبو السعادات : حماسة ابن الشجري، ص١٠٦	وقيان	الكامل
	ابن عبد ربه : العقد الفريد، ١/ ١٠٨ ط. القاهرة ١٩٨٣		
٦٣	الطبري : تاريخ، ٦/ ٣٤١	الشفتان	الخفيف
٦٤	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٣٦	الزمان	الخفيف
٦٥	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٢١	تهتان	الرجز
	العباسي : معاهد، ٤/ ٤٥		
٦٦	الطبري : تاريخ، ٧/ ١٤١	شروين	البسيط
٦٧	الأصفهاني : الأغاني، ١٩/ ٢٣٢	ناحيه	مجزوء الكامل
٦٨	الأصبهاني : محاضرات، ٣/ ٥٩	ـ	الطويل

المصادر والمراجع

● الآمدي: أبو القاسم الحسن بن بشر.
١ ـ الموازنة بين أبي تمام والبحتري ـ ط. بيروت ١٣٣٢هـ.
● الأبشيهي: محمد بن أحمد الخطيب.
٢ ـ المستطرف من كل فن مستظرف ـ ط. القاهرة ١٣١٤/١٨٩٦.
● ابن أبي أصيبعة: أبو العباس أحمد بن القاسم.
٣ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ ط. بيروت ١٩٦٥.
● ابن أبي الحديد: عزّ الدين عبد الحميد المدائني.
٤ ـ شرح نهج البلاغة ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط. البابي الحلبي ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
● ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد الشيباني.
٥ ـ الكامل في التاريخ ـ تحقيق الشيخ عبد الوهاب النجار ـ ط. القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٧.
● ابن برد: بشار.
٦ ـ ديوان بشار ـ تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ط. القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٧.
● ابن تغري: بردي.
٧ ـ النجوم الزاهرة ـ ط. دار الكتب المصرية ١٩٣٠.
● ابن خلدون: عبد الرحمن.
٨ ـ مقدّمة ابن خلدون ط. المطبعة الأدبية ـ بيروت ١٨٧٩.
● ابن خلّكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد.
٩ ـ وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط. القاهرة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩.
● ابن رشيق القيرواني: أبو العبّاس الحسن.
١٠ ـ قرّاضة الذهب في نقد أشعار العرب ـ ط. القاهرة ١٩٢٦/ ١٣٤٤.
١١ ـ كتاب العمدة ـ ط. السعادة ـ مصر ١٣٧٤/ ١٩٥٥.
● ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري.
١٢ ـ كتاب عيون الأخبار ـ ط. دار الكتب المصرية ١٩٢٥.

● **ابن المعتز: أبو العبّاس عبد الله.**

١٣ ـ طبقات الشعراء ـ ط. دار المعارف ـ مصر ١٩٥٦.

● **ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق.**

١٤ ـ كتاب الفهرست ـ ط. فلوغل ـ ليبزغ ١٨٧١/ ١٨٧٢.

● **أبو السعادات: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة.**

١٥ ـ حماسة ابن الشجري ـ ط. حيدر اباد ١٣٤٥هـ.

● **أبو العتاهية:**

١٦ ـ ديوان أبي العتاهية ـ ط. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩١٤.

● **أبو العلاء: أحمد بن عبد الله المعري.**

١٧ ـ الفصول والغايات ـ ط. القاهرة ١٣٥٦/ ١٩٣٨.

● **أبو الفداء: عماد إسماعيل بن علي.**

١٨ ـ المختصر في أخبار البشر ـ ط. القاهرة ١٣٢٥هـ.

● **أبو نواس:**

١٩ ـ ديوان أبي نواس ـ ط. المطبعة الحميدية المصرية ١٣٢٢.

● **أبو هفان: عبد الله بن أحمد.**

٢٠ ـ أخبار أبي نواس ـ ط. القاهرة ١٩٥٣.

● **الآزدي: علي بن ظافر.**

٢١ ـ بدائع البدائه ـ ط. القاهرة ١٩٧٠.

● **الأصبهاني: أبو القاسم حسين بن محمد الراغب.**

٢٢ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ـ ط. القاهرة ١٣٢٦.

● **الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين.**

٢٣ ـ الأغاني ـ ط. دار الثقافة بيروت ١٩٦٠.

● **أمين: أحمد.**

٢٤ ـ ضحى الاسلام ـ ط. لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة ١٣٥٢/ ١٩٣٤.

● **الباقلّاني: أبو بكر محمد بن الطيب.**

٢٥ ـ إعجاز القرآن ـ ط. مطبعة الاسلام ١٣١٥.

● **بدوي: عبد الرحمن.**

٢٦ ـ من تاريخ الإِلحاد في الإسلام ـ ط. النهضة المصرية ١٩٤٥.

● **بروكلمن: كارل.**
٢٧ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية ـ ترجمة نبيه فارس ـ ط. دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٠.
٢٨ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ ط. دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧.
● **البصري: صدر الدين بن أبي الفرج.**
٢٩ ـ الحماسة البصرية ـ ط. حيدر اباد ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
● **البغدادي: عبد القادر.**
٣٠ ـ خزانة الأدب ـ ط. بولاق ١٣٥٢.
● **البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب.**
٣١ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ـ ط. الخانجي ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.
● **البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى.**
٣٢ ـ كتاب فتوح البلدان ـ ط. دار النشر للجامعيين.
٣٣ ـ أنساب الأشراف ـ مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١١٠٣ (تاريخ).
● **البهبيتي: نجيب محمد.**
٣٤ ـ تاريخ الشعر السياسي ـ ط. دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٥٠.
● **بيلا: شارل.**
٣٥ ـ الجاحظ ـ ترجمة إبراهيم كيلاني ـ ط. دار اليقظة العربية ـ دمشق ١٩٦١.
● **التفتازاني: سعد الدين.**
٣٦ ـ شروح التلخيص ـ ط. الحلبي ـ مصر ١٩٣٧.
● **التنوخي: أبو علي المحسن بن علي.**
٣٧ ـ المستجاد من فعلات الأجواد ـ تحقيق محمد كرد علي ـ ط. دمشق ١٩٤٦.
● **الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل.**
٣٨ ـ المنتحل ـ ط. الإسكندرية ١٣١٩/ ١٩٠١.
٣٩ ـ لطائف المعارف ـ ط. البابي الحلبي.
٤٠ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ ط. القاهرة ١٩٠٨.
● **الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر.**
٤١ ـ البيان والتبيين ـ تحقيق السندوبي ـ ط. الاستقامة ـ القاهرة ١٣٧٥/ ١٩٤٥.
٤٢ ـ كتاب الحيوان ـ ط. القاهرة ١٩٠٧.

● **الجرّاح: محمد بن داود.**
٤٣ ـ كتاب الورقة ـ تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج ـ ط. مصر ١٩٥٣.
● **الجرجاني: علي بن عبد العزيز.**
٤٤ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ ط. العرفان ـ صيدا ١٣٣١هـ.
● **الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوش.**
٤٥ ـ كتاب الوزراء والكتاب ـ ط. البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٣٨/١٣٥٧.
● **الحاجري: طه.**
٤٦ ـ الجاحظ ـ ط. دار المعارف ـ مصر ١٩٦٢.
● **حسين: طه.**
٤٧ ـ حديث الأربعاء ـ ط. دار المعارف ـ مصر ١٩٥٨.
● **الخضري: محمد.**
٤٨ ـ مهذب الأغاني ـ ط. القاهرة ـ مطبعة ـ مصر.
● **الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد.**
٤٩ ـ طراز المجالس ـ ط. المطبعة الوهبية ـ القاهرة ١٢٨٤.
● **رفاعي: أحمد.**
٥٠ ـ عصر المأمون ـ ط. دار الكتب المصرية ١٩٢٧/١٣٤٦.
● **الزجّاجي:**
٥١ ـ مجالس الزجّاجي ـ ط. الكويت ١٩٦٢.
● **الزركلي: خير الدين.**
٥٢ ـ اعجام الأعلام ـ ط. القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩. وط. دار العلم للملايين ـ بيروت.
● **زكي: أحمد كمال.**
٥٣ ـ الحياة الأدبية في البصرة ـ ط. دار الفكر ـ دمشق ١٩٦١.
● **زيدان: جرجي.**
٥٤ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ ط. مطبعة الهلال ـ مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٣٠.
● **السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد.**
٥٥ ـ الأنساب ـ ط. حيد أباد ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦.
● **شيخو: لويس.**
٥٦ ـ علم الأدب ـ ط. بروت ١٨٨٦.

● **الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى.**
٥٧ ـ أخبار أبي تمام ـ ط. مكتب التوزيع والنشر ـ بيروت.
٥٨ ـ أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق ـ ط. القاهرة ١٩٣٦.
● **ضيف: شوقي.**
٥٩ ـ تاريخ الأدب العربي ـ ط. دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٠. التطور والتجديد في الشعر الأموي ـ ط. القاهرة ١٩٥٢.
● **الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير.**
٦٠ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ ط. الاستقامة ـ القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.
● **العباسي: عبد الرحيم بن عبد الرحمن.**
٦١ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ـ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ـ ط. السعادة ـ القاهرة.
● **عبد العزيز الأندلسي: عبد الله.**
٦٢ ـ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ـ ط. لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٢٦.
● **العبيدي: عبيد الله بن عبد المجيد.**
٦٣ ـ شرح المضنون ـ ط. القاهرة ١٩١٣.
● **العسكري: أبو هلال.**
٦٤ ـ ديوان المعاني ـ ط. القاهرة ١٩٥٣. كتاب الصناعتين ـ ط. الآستانة ١٣٢٠.
٦٥ ـ كتاب الصناعتين ط. القاهرة ١٩٥٣.
● **غربال: محمد شفيق.**
٦٦ ـ الموسوعة العربية الميسّرة ـ ط. القاهرة ١٩٦٥.
● **غرانباوم: غوستاف.**
٦٧ ـ شعراء عبّاسيون ـ ط. دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٥٩.
● **القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم.**
٦٨ ـ كتاب الأمالي ـ ط. القاهرة ١٩٥٤.
● **القزويني: الخطيب.**
٦٩ ـ الإِيضاح ـ ط. القاهرة ١٣٤٢هـ.
● **قمبير: يوحنا.**
٧٠ ـ تاريخ الفلسفة العربية ـ ط. بيروت ١٩٥٨.

● **القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري.**
٧١ ـ زهر الآداب (على هامش العقد ـ ط. القاهرة ١٣٢١).
● **الكميت: ابن زيد الأسدي.**
٧٢ ـ حلبة الكميت ـ ط. القاهرة ١٢٩٩.
● **لويس: برنارد.**
٧٣ ـ العرب في التاريخ ـ ط. بيروت ١٩٥٤.
● **المرتضى: الشريف علي بن الحسين بن الطاهر.**
٧٤ ـ أمالي المرتضى ـ ط. القاهرة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.
● **المرزباني: أبو عبد الله محمد بن عمران.**
٧٥ ـ معجم الشعراء ـ ط. القاهرة ١٣٥٤هـ.
٧٦ ـ الموشح ـ ط. ذار نهضة مصر ١٩٦٥.
● **المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين.**
٧٧ ـ مروج الذهب ـ ط. السعادة ـ القاهرة ١٩٥٨.
● **نالينو: كارلو.**
٧٨ ـ تاريخ الآداب العربية ـ ط. دار المعارف ـ مصر ١٩٥٤.
● **النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب.**
٧٩ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ ط. القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.
● **الوطواط: جمال الدين محمد بن إبراهيم.**
٨٠ ـ غرر الخصائص الواضحة ـ ط. مصر ١٢٨٤.
● **ياقوت: شهاب الدين بن عبد الله الحموي.**
٨١ ـ معجم البلدان ـ ط. دار صادر ـ بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
٨٢ ـ معجم الأدباء ـ ط. دار المأمون ـ مصر ١٩٣٦.
٨٣ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ ط. مرغليوت. ١٩٢٣ ـ ١٩٢٦.
● **اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر.**
٨٤ ـ كتاب البلدان ـ ط. بريل ١٨٩٢.



فهرس المحتويات



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



اعلام الفكر العربي



